أول كتاب من نوعه صدر في الحجاز : —



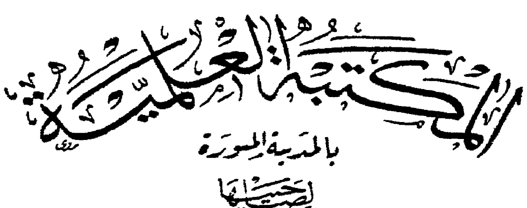
بقلم

عبد القدوس الأنصاري

الموظف بديوان أمارة المدينة المنورة

واستاذ الأدب العربي بمدرسة العلوم الشرعية

طبعت على نفقة

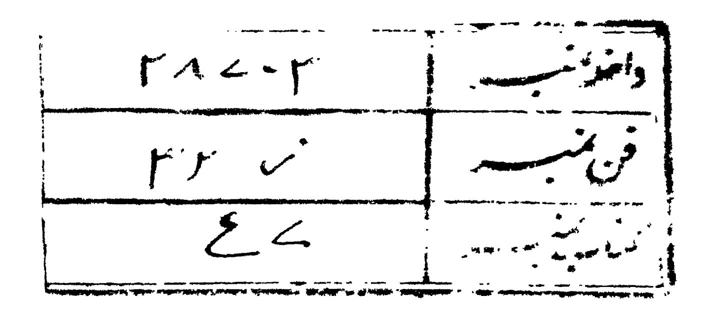


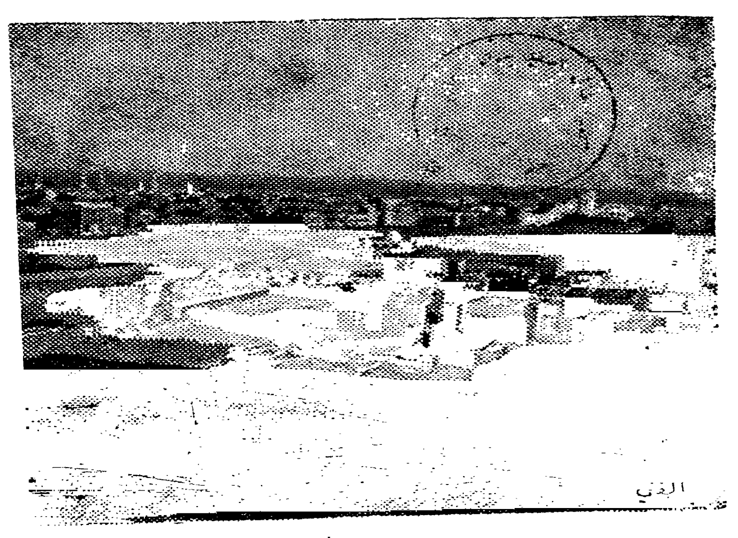
بالمدينة المنورة

لصاحبيها

السيد عبد الحميد الفيض آبادي وسامي حفظي

١٣٥٣ هـ — مطبعة الترقي بدمشق — ١٩٣٥ م





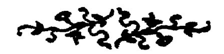
رسم المدينة المنورة

مَصَادِرُ الْكِتَابْ

١	تفسير الطبري	لابن جرير الطبري
٢	صحيح البخاري	لمحمد بن اسماعيل البخاري
٣	صحيح مسلم	لمسلم القشيري
٤	سنن ابي داود	لابي داود السجستاني
٥	السيرة النبوية	لابن هشام
٦	التيجان	
٧	الروض الانف	للسهيلي
٨	التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة	للمطري
٩	وفاء الوفا	للسيد عبدالله السمهودي
١٠	خلاصة الوفا	
١١	عمدة الاخبار في مدينة المختار	لاحمد بن عبد الحميد العباسي
١٢	نزهة الناظرين	للسيد جعفر برزنجي
١٣	مرآة الحرمين	لابراهيم باشا رفعت
١٤	رحلة البتنوني	لمحمد لبيب بك البتنوني
١٥	رحلة ابن جبير	لمحمد بن جبير
١٦	الكامل	لابن الاثير
١٧	معجم البلدان	لياقوت
١٨	وفيات الاعيان	لابن خلكان
١٩	تاريخ الدولة العلية العثمانية	لمحمد فريد بك
٢٠	صبح الاعشى	للقلقشندي
٢١	لسان العرب	لابن منظور
٢٢	القاموس	للفيروزبادي
٢٣	المصباح المنير	للفيومي
٢٤	قلب جزيرة العرب	لفؤاد بك حمزة
٢٥	مجلة الزهراء (م ٣)	للاستاذ محب الدين الخطيب
٢٦	تعليقات خطية على خلاصة الوفاء	للمرحوم الشيخ ابراهيم فقيه
٢٧	مشاهداتي ومعلوماتي الخاصة	

فِهرِسُ الكِتَابِ

فهرس الرسوم



فهرس المواضيع

ذكريات

وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما
ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

شوقي

شوّقتنا الآثار للأعيان ... وأثارت كوامنَ الأشجان
ربّ حرفٍ أغناك عن صفحات ... ربّ رمزٍ كفاك عن تبيان
ولكم في مدينة المصطفى من ... ذكرياتٍ تفيضُ بالإحسان
ربما شاقت النفوس إلى الما ... ضي وما فيه من جليل المعاني
فهناك الدينُ القويمُ تجلّى ... باذخاً ظاهراً على الأديان
بعد ماظلّ مستسرّاً زماناً ... في مطاوي الجحود والكتمان
أشرقت شمسه فكانت حياةً ... وفداءً لميتٍ ولعان

* * *

يا رعى اللهُ ليلةَ الهجرة الغرّ ... اء كم أدركت بها من أمان
وبنفسي مهاجراً في سبيل الـ ... حقّ لم يحتقب سوى الإيمان
هجر الأرض لا أسرَّ لهافٍ ... من حماها ولا أقرّ لران(١)
لست أنساه ليلةَ الغارِ والصدّ ... يق يحنو عليه كلَّ حنانِ
حائماً حوله فبينَ يديه ... تارةً وهو خلفه في آن

(١) هما صفتان لمحذوف أي لا أسرّ لقلبٍ هافٍ ولا أقرّ لطرفٍ ران

يتخشّى عليه شرَّ كمينٍ وأذى طالبٍ ووثبة جان
باذلاً نفسه فدى لرسول اللـــــه من ماردٍ ومن ثعبان

* * *

أرأيت الجموعَ تأرِزُ للحرّة من شيخةٍ ومن شبـان
تتنزّى قلوبُهم بين أحنـا ء ضلوعٍ شديدة الخفقان
ساقها الشوقُ للحبيب فهبت تتلقى مشارقـ العرفان
طلع المصطفى عليهم بوجهٍ دونه البدرُ مشرقٍ إضحيان
نسلت نحوه البصائر والأ بصار خفّاقةً بكل جَنان
ذاك خيرُ الورى وأشرفُ من يـ شي على الأرض من بني الإنسان

* * *

كرُمت أمةٌ تولّتـــه بالنصـ ر وفازت منه بأرفع شان
تشرُف الأرض بالرجال وتسمو بسموِّ الحلولِ والقطّان
فسقى الله بقعةً قد حوت منـ ه أمنّ الورى على الأكوان

* * *

ذكرياتٌ ما تنقضي وشعورٌ ما عفته عواملُ النسيان
أيقظتها صحائف من كتابٍ لأديبٍ ذي خبرةٍ وبيان
ولكم فيه من صحائفَ توري كامياتِ الإحساس والوجدان
كلُّ سطر به يطالعك التا ريخُ بالسرِّ منه والإعلانِ

* * *

حفَّ (عبدالقدوس) بالخير من أو لاه منه هدًى وصدق لسان

دمشق في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ — احمد عبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة المؤلف)

نحمد الله على توفيقه ، ونصلي ونسلم على صفوة انبيائه ، وآ
وصحبه الكرام .

أمَّا بعد: فهذه دراسات علميّة أثمرتها أبحاث وتنقيبات ومشاهد
شخصية لآثار المدينة المنورة ، أضعها بين أيدي القراء ، كما عاينتُ
وكما حققتها ..

بدأتُ في هذه الدراسات ، منذ ثمانية أعوام .. فطوراً تر
جائلاً في شوارع المدينة وأزقتها مفكراً متأملاً ، وطوراً تجدني سا
في ضواحيها مستكشفاً ، اعلو الآكام ، وأستبطنُ الوهاد ، وأ
الى قُمَم الجبال ، وأهبطُ الي قرارات الوديان ..

وكانت لوافحُ السَّموم لا تكبح من جماح همتي ، ولواذعُ ا
لا تفل من حد عزيمتي ، نظراً لما أشعر به من متعة روحية في مهمتي

وطالما اشتقت الى أنْ أُوفَقَ لأ يداع معلوماتي ومشاهداتي ونتائج بحوثي ، في سِفرٍ يكون جامعًا لأشتاتها ، خصوصاً وإن للبحوث الأثرية اليوم أهمية خاصة في عالم التاريخ حتى أراد الله ذلك الآن .

والمدينة حافلة بالآثار إن لم تكن كلها آثاراً .. أليست من اقدم بلاد الله على وجه البسيطة ؟ فبانوها هم العمالقة ؛ وقد عرفت العمالقة .. وأنهم كانوا فيما قبل التاريخ ..

ثم .. ألم يتعاقب عليها السكان حتى جمعت اخيراً بين الخزرج والأوس اليمانيين العريقين في التمدن ، وبين اليهود الذين عرفوا بالصنائع والكنوز والحصون ؟

ثم أليست مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؟ فآثاره بها مشرقة منيرة ، منتشرة وفيرة .

ثم أليستْ مهدَ الاسلام ، وعاصمته الاولى ، التي تجبى اليها خزائن الملوك المفتوحة أقطارهم فتصرف في أراضيها عمارات وبنايات ؟

ثم أليستْ قبلة الطوائف الاسلامية من شتى الاقطار ؟ ومصب وابل خيراتهم اذا نزحت بهم الديار ؟

كل هذا وذاك من طبيعته أن يجعل المدينة بلد آثار بحق؛ وما هي الآثار إن لم تكن مخلفات الأولين من عمارات وكتابات وصناعات، وما الى ذلك؟

وتعميماً للفائدة ، وتنويراً لجوانب الموضوع قد حلَّينا الكتاب

بخريطه أثرية تقريبية للمدينة المنورة ، اخذنا تخطيطها من بعض مصادره، ولهذه الخريطة التقريبية فوائد جمة ، من أبرزها أنها تدل على مواقع الآثار ، بصورة واضحة ، وفي الكتاب عشرة رسوم اكتشفنا بعضها لأول مرة في تاريخ المدينة ، فأحببنا تسجيل هذا الاكتشاف وتخليده بأخذ صورها لاول مرة في التاريخ ايضاً .

هذا ومهما أكن توخيت التحقيق ، فلا آمن من زلقة الفكر ؛ وزلة القدم ؛ لأن هذا الموضوع الذي طرقته يكاد يكون بكراً إن لم يكنه بالفعل .. ولذا أرجو ممن يطلع على هفوة أن يرشدني اليها مشكوراً ، تأميناً لاصلاحها في الطبعات القادمة اذا وفق الله .

وأملي وطيد في أن أكون قد قمت ببعض الواجب في سبيل إحياء كثير مما انطمس من آثار هذه البلدة الطاهرة ، حتى أصبح مجهول الاسم ، او مجهول الحقيقة ، او غير معروفهما معاً . والله ولي التوفيق .

المدينة المنورة



قِسْمُ الدُّوَرِ

الدور

تمهيد :

إفتتحنا هذا القسم من الكتاب بداري كلثوم بن الهدم وسعد بن خيثمة الأنصاريين ، لما لهما من ميزة بارزة : هي نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما أول مرة ، حين وصوله الى قباء ، مهاجراً من مكة الى المدينة ٠

ودور المدينة المأثورة كثيرة ، غير أن اللاتي أوردتها فيما يلي هي التي درستها ، وأستطيع أن أقول : إنها قد تحققت لدي أثريتها ، كما ثبتت لدي مواضعها ٠

[١]

دارا كلثوم بن الهدم ، وسعد بن خيثمة

هاتان الداران — مع كونهما مأثورتين — قد انطمست ذكراهما اليوم ، فلا تكاد تجد أحداً يعرف موضعهما بالضبط والتحقيق ، بل لا تكاد تصادف من يدري أنَّ بقرب مسجد قباء دارين متجاورتين كانتا منزل الرسول عليه الصلاة والسلام — هذا مع اتفاق المؤرخين ، وكتاب السيرة النبوية على مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالدارين المشار اليهما(١) حين مقدمه الى قباء .. فبهما قضى المدة التي قضاها في هذه القرية الجميلة ، ذات الجو البديع الصافي ، والنسيم اللطيف الشافي . وعلى هذا فبناؤهما كان في الجاهلية .. وقد كانتا موجودتين ومعروفتين في عصر المطري [القرن الثامن الهجري] وزمن السمهودي [القرن التاسع] .

أمّا رأينا في موقعهما ، بعد أن اندرستا ، فنورده لك فيما يلي :

روى السمهودي أنهما واقعتان بالجهة الجنوبية لمسجد قباء ، وحكى أن دار سعد بن خيثمة تلي مسجد قباء من قبلته (أي تلي

---

(١) اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم دار كلثوم لاقامته ، ودار سعد لمجلسه مع الناس (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠)

دار كلثوم الى مسجد قباء) .. فترى من هذا النص ، ومن تصريح كاتبه أيضاً بأن الناس كانوا يصلون الدارين بعد زيارتهم لمسجد قباء : أنه في امكاننا أن نؤكد أنهما واقعتين بمكان هاتين القبتين البيضاوين القائمتين اليوم بجنوبيّ مسجد قباء بنحو ١٢ متراً ، لانطباق الأوصاف المذكورة عليهما ، وعلى موقعهما كذلك .. إذاً فدار كلثوم بن الهدم هي بموضع القبة المعروفة الآن بمقام العمرة ، ودار سعد بن خيثمة بمكان القبة التي تليها الى مسجد قباء الملاصقة لها ، المعروفة ببيت فاطمة .

[٣]

دار ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه

أبو أيوب صاحب هذه الدار ، هو أحد بني النجار من الخزرج ، أخوال عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي دار أبي أيوب هذه كان نزول الرسول ، أول مقدمه الى باطن المدينة من قباء .. وقد أقام فيها مدة تتراوح بين سبعة أشهر ، واثنى عشر شهراً ، وكان مُقامه من الدار بالسُّفل ، على ما رواه ابن هشام ، وفي صحيح مسلم أنه انتقل بعد ذلك الى العلو . وتاريخ بناء هذه الدار مجهول

لدينا ؛ وهناك رواية تقول بأن بانيها هو تبع أبو كرب حين قدومه الى المدينة ٠

وهي في الناحية الجنوبية الشرقية للمسجد النبوي ، ويحدها شمالاً ، الزقاق الضيق النافذ المعروف بزقاق الحبشة[1] وجنوباً دار جعفر الصادق ، المعروفة اليوم بدار نائب الحرم ، وغرباً الطريق ، وشرقاً ما وراءها من بيت البالي ٠

وقد انتابت هذه الدار تطورات ، فقد ذكر السهيلي في الروض الأنف : أنها آلت بعد صاحبها أبي أيوب إلى مولاه أفلَحَ ، وأن أفلح هذا لم يُفْلِحْ ، اذ باعها بعد ماخربت ، للمغيرة بن عبد الرحمن بألف دينار ، وهذا قام بترميمها ، وتصدق بها بعد ذلك على أهل بيت من فقراء المدينة ، ثم لَجّ تاريخها في الغموض ، حتى أصبحت عرصة ، فاشتراها الملك شهاب الدين غازي بن الملك العادل وبناها مدرسة سميت بالمدرسة الشهابية ، نسبة اليه ، ثم تعطلت ٠ وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري أُعيد بناؤها بصفة مسجد مقبب

(١) لعل أصل هذه التسمية ما رواه أبو داود من لعب الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه صلى الله عليه وسلم ٠ وكان وقت لعبهم على مايفهم من فحوى كلام السمهودي عند نزوله صلى الله عليه وسلم بدار أبي أيوب ، فمن الممكن والحالة هذه أن يكون محل اللعب المذكور حينئذ في رأس هذا الزقاق ، ولذا عرف بهم ٠

ذي محراب ، ولا تزال الى الآن بهذا الشكل ، في القسم الجنوبي الغربي من دار آل البالي .. وعلى جدارها الخارجي حجر منقوش فيه بحروف بارزة مذهبة مانصه : (هذا بيت أبي أيوب الأنصاري موفد النبي عليه الصلاة والسلام في ٧ سنة ١٢٩١) اه .

وفي تعليقات المرحوم الشيخ ابراهيم فقيه على خلاصة الوفاء : أنها عرفت باسم زاوية الجنيد ، فلعل شخصاً كان يدعى بهذا الاسم اتخذها زاوية في وقت من الأوقات فنسبت اليه .

[٣]

دار عبد الله بن عمر رضي الله عنه

ذكر المطري في كتابه : (التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة) — أن البناء المعروف بدار العشرة ، المنقوش على بابه ذلك اليوم ، والواقع بجنوب المسجد النبوي الشرقي هو دار آل عمر بن الخطاب .. وفي وفاء الوفا تصريح بأن الدار المشار اليها هي دار عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ورثها من أخته حفصة أم المؤمنين ، رضي الله عنها وهي أخذتها تعويضاً عن حجرتها التي أدخلت في بناية المسجد النبوي ، وكان لهذه الدار نفق من جنوب المسجد ، يوصل اليها ، وفي عام ٨٨٨ ه سد وردم بالتراب .

وقد دخلتُ هذه الدار في هذا العام – ١٣٥٣ هـ – فاذا هي عبارة عن شِبْهِ مدرسة واسعة ، تقوم في وسطها شجرة (سيسبان) عظيمة ، زاهية الاخضرار عطرية الأريج .. وبجانب هذه الشجرة بركة صغيرة ، وبئر معطلة ، وبأطراف المدرسة غرف بعضها جعل مخزناً لأشياء المسجد النبوي . ولهذه المدرسة نافذة تطل على المواجهة الشريفة .

ولا نعلم هل كانت في وقت من الأوقات ، مأهولة بالسكان؟ أم على هذا الوضع كانت من الأصل(١)؟

[٩]

دار جعفر الصادق رضي الله عنه

هي بالجنوب الشرقي للمسجد النبوي ، تلاصق دار أبي أيوب ، من جانب هذه الجنوبي ، وتعرف اليوم بدار نائب الحرم ، وكان هذا النائب يقيم فيها الى عهد قريب ، فلما ألغيت وظيفة « نائب الحرم » من موازنة دائرة الأوقاف ، أصبحت الدار معروضة للايجار ، ومؤجرها هو القائم بإدارة أوقاف الحرم النبوي .

(١) بعد كتابة ما تقدم ، عثرت في وفاء الوفا [ج ١ ص ٤٦٢] على أنها مدرسة لم تعمر قط بالسكان .

وكانت الدار في أول عهدها ، لحارثة بن النعمان الانصاري ، ثم انتقلت لجعفر الصادق الحسيني المشهور .

وفي القرن التاسع كانت عرصة فاشتراها ، من ملاكها الأشراف « المنايفة » الشجاعي شاهين الجمالي شيخ الحرم النبوي اذ ذاك ، وابتناها مسكناً لنفسه . ولا ندري ماجريات تاريخها بعد ذلك ؛ وهي اليوم من أوقاف المسجد النبوي ؛ ولا نعلم كيف انتقلت من دَوْرِ المِلْكِيَّة الى دور الوقفية ؟ كما أننا نجهل واقفها ! ويمكن أن يكون الشجاعي شاهين نفسه هو واقفها على المسجد النبوي ، بعد وفاته ، لأنه كان شيخاً له .. واثبات هذا يحتاج الى الاطلاع على سجلات دائرة الأوقاف ، القديمة ، هنا .. وهل يوجد لديها الآن سجلات تصعد في القدم الى القرن التاسع[1] ؟

---

(١) كانت دائرة الاوقاف تعرف في عهد حكومتي بني عثمان والاشراف بالخزينة الجليلة . وفي عهد هذه الحكومة عرفت بالاسم المذكور ؛ وقد سألت السيد حسين طه مدير الاوقاف عن أقدم سجل بدائرة الأوقاف ، فأخبرني أنه سجل عام ١٢٥٥ هـ

[٥]

دارا عثمان بن عفان رضي الله عنه

يفهم من تواريخ المدينة أنه كان لعثمان بن عفان ، داران متصلتان ببعضهما ، تقعان في الناحية الشرقية للمسجد النبوي .. احداهما : الصغرى ، والثانية : الكبرى .. وكلتاهما بنيتا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد نص صاحب وفاء الوفا على ان الأولى هي التي في موضعها الرباط المعروف برباط سيدنا عثمان وذكر أن هذا الرباط ، للمغاربة .. وبهذا التنصيص كفانا مؤنة البحث والتنقيب .. فرباط سيدنا عثمان ، موجود بعينه الآن ، وهو من اوقاف المغاربة ، وبه مكتبة تحوى كتب الفقه المالكي وغيره وا كثرها خطية ، وهي في دواليب خشبية عتيقة؛ اخبرني بعض نظار الرباط(١) انها اخرجت من الحجرة النبوية ، وانها من مصنوعات الدولة العباسية ، ومما أهدته إلى الحجرة النبوية الشريفة ..

وهيا كل هذه الدواليب ، ونقوشها وحلقاتها — كل هذا يؤيد قول الناظر المشار اليه . وقد افادنا السمهودي بان قَتَلَةَ عثمان رضي الله عنه انما تسوروا عليه من هذه الدار الصغرى ، إلى داره الكبرى التي كان يقطنها يومئذ .

(١) هو المرحوم الحاج علي الصباحي .

اما دار عثمان الكبرى ، فيقول لنا إنّ في محلها · رباط الاصفهاني ، وتربة اسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومعه فيها والد صلاح الدين ايضاً ، وفى محل الدار الكبرى ايضاً : دار مشائخ الخدام ، وبعدها جنوباً الطريق ، خمسة اذرع ، او نحو ذلك ، ثم منزل ابي ايوب الانصاري ·

ونحن نقول (تمهيداً لتحديد هذه الدار تحديداً علمياً) : إننا نرى أنّ رباط الاصفهانيّ الذي نوه به السمهودي ، وقال عنه إنه جزء من الدار : هو الرباط المعروف اليوم برباط العجم ، لما ورد في وفاء الوفا ، من كون بانيه وقفه على فقراء العجم ، ولانطباق ماحكاه من ان الواقف جعل لنفسه قبراً ذا شباك مقابلاً للقبر الشريف — على الرباط المذكور ، حيث إنّ فيه لليوم شباكاً هذا وصفه ·

كما أننا نرتئي أن الدار التي ذكر انها دار مشائخ الخدام : هي المعروفة الآن بدار مشيخة الحرم النبويّ ، وكانت مخصصة لأقامة شيخ الحرم النبويّ في عهد الحكومة العثمانية ·· وشيخ الحرم النبوي هو شيخ الخدام بعينه في الاصطلاح القديم [1]

---

(١) في صبح الأعشى (ج ١٢ ص ٢٦٠ و ٢٦١) فصل خاص بهذه الوظيفة والذي يهمنا من هذا الفصل ما فيه من الدلالة الصريحة على أن مشيخة الحرم النبوي ومشيخة الخدام لفظان مترادفان لوظيفة واحدة ·

والطريق الذي ذكر أنه في جنوب الدار ، لا يزال موجوداً ، وهو زقاق الحبشة الذي اصبح عرضه اليوم مترين ٠

بعد هذا التمهيد في وسعنا ان نقدم للقراء ، صورة حقيقية لدار عثمان الكبرى التي استشهد في بعض غرفها ، بزاويتها الجنوبية ، فنقول : يحد هذه الدار ، شرقاً ، دارُهُ الصغرى (رباط سيدنا عثمان اليوم) ، وغرباً ، موضع الجنائز (فرش الحجر) وشمالاً طريق البقيع ، وجنوباً زقاق الحبشة ٠

ويفهم من قول ابن جبير في رحلته : « ويقابل باب جبريل عليه السلام دار عثمان رضي الله عنه ، وهي التي استشهد فيها » — أنها كانت موجودة معروفة الى اواخر القرن السادس الهجري ٠

---

[٦]

دار ابي بكر الصديق رضي الله عنه (١)

يؤخذ من وفاء الوفا أن دار أبي بكر التي اقتطعها له الرسول عليه الصلاة والسلام ، كانت شرقيّ المسجد النبويّ ، قبالة دار عثمان الصغرى ، وأنها في الطرف الشماليّ من هذا الطريق المعروف

(١) لأبي بكر رضي الله عنه دار أخرى بالسنح في عالية المدينة بينها وبين المسجد النبوي ميل ٠

بطريق البقيع ، وانها تنتهي الى ما يحاذي رباط سيدنا عثمان ..
هذا حدها الشرقيّ .. أما الغربيّ فالمدرسة المقابلة لباب النساء
(زاوية السمان اليوم) ؛ وحدها الجنوبيّ طريق البقيع ، والشمالي
غير معروف .

ومما يجدر بالذكر أنه بهذه الدار كانت وفاة صاحبها أبي بكر
الصديق أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما روته
إبنته عائشة رضي الله عنها .

ويمكننا (بناءً على ما مر من التحديد) أن نقول : إنّ دار
أبي بكر هذه تتكون في الاصل من مجموع كل من بيت السمان
الآن ، والدار الملاصقة له غرباً ، الى طرف المدرسة المقابلة لباب
النساء المعروفة بزاوية السمان .

[٧]

دار ريطة

ريطة ، هي ابنة ابي العباس السفاح ، وتقول دائرة المعارف
الاسلامية التي يقوم بترجمتها بعض كتاب مصر ، ان هذا الاسم
يطلق على ام السفاح ايضاً .

ودار ريطة ، أبنتِهِ ، هي المقابلة لباب النساء ، أحد ابواب المسجد

النبوي ، وكان هذا الباب يعرف بها ، فيقال له : باب ريطة ؛ ونرى بناءً على ما لريطة هذه من مكانة اجتماعية ممتازة ، ان لدارها ميزة عمرانية تتناسب مع مكانة صاحبتها ، ولهذا نسب اليها احد ابواب المسجد النبويّ ، في عصر من العصور الغابرة ·

ودار ريطة هي زاوية السمان اليوم ، وهي واسعة فخمة ، وعقد بابها المواجه لباب النساء رفيع متسع ، ومصرعاه جميلان ، كبيران ، مصبوغان بصبغ اخضر ، ومزخرفان بزخرفة القرون الاولى · وقد تأملتُ ، مليًّا ، في هذه الزخرفة البديعة ، واخيراً أدركت ان اكثرها مكون من كتابة كوفية ، من النوع المشجر ، فحاولت قراءتها ، وهذا نص ما على كل مصراع :—

ا — منقوش على المصراع الجنوبيّ : « بركة كاملة ونعمة شاملة بركة كاملة ونعمة شاملة الملك لله الملك لله »

ب — منقوش على المصراع الشمالي مثل ذلك وكتابة اخرى لم استطع حلها ·

ونعتقد بناءً على ما ذكره المطري من أن يازكوح احد امراء الشام بنى هذه الدار من جديد وعملها مدرسة للحنفية ، وجعل له فيها مشهداً (مدفناً) نقل اليه من الشام ·· نعتقد ، بناءً على هذا ان هذا الباب من آثار تلك البناية ، نظراً لشكله العتيق ، وشكل زخرفته النفيس ·

والمطريّ يرى ان هذه الدار هي دار ابي بكر الصديق التي
ني فيها ؛ والسمهودي ينتقد هذا الرأي ، ويثبت أن دار ابي
ر انما تقع خلف دار ريطة في جهة المشرق ، مستدلاً بما قاله
، شبة من كون دار ابي بكر انما هي في زقاق البقيع قبالة دار
ثمان الصغرى .



مصراعا دار ريطة التي اصبحت زاوية السمان

وبمؤخر الزاوية ، اليوم ، مكان صغير ، يُروى انه بيت الصديق ، وقد يكون كذلك وقد يكون مدفن يازكوح من دار ريطة ·

هذا وقد اختلط الأمر على صاحب مرآة الحرمين اذ يقول : « وكان في مقابلة هذا الباب (باب النساء) دار ريطة ابنة ابي العباس ، وفي شرقيها دار ابي بكر رضي الله عنه التي في موضعها الآن زاوية الشيخ عبد القادر الجيلاني او زاوية السمان » اه

اولا ترى أنه جعل زاوية السمان ، دار ابي بكر التي بشرقي دار ريطة ؟ !

[٨]

دار خالد بن الوليد رضي الله عنه

حقاً إنّ رب الدار أدرى بما فيها ·· فبمقدم هذا الرباط المعروف برباط خالد بن الوليد الملاصق لدار ريطة من جانبها الشماليّ — كانت تقوم دار خالد بن الوليد ، وكنت لا اقضي العجب ، من تسمية هذا الرباط بهذا الاسم ! ·· أَلخالد بن الوليد بطل الاسلام رباط ؟ ام هو يا ترى خالد آخر ؟ ام إنّ هذه التسمية خرافة مخترعة ؟

ألحقُّ يقال : إنّ هذه الخواطر كلها كانت تتوارد على ذهني كلما طرق سمعي اسم « رباط خالد بن الوليد » !

واخيراً ، اتّضح لي أن لهذه التّسمية ظلا وارفًا من الحقيقة ..

فكما اسلفنا إنّ بمقدم هذا الرباط الذي كان معروفاً ، في القرن التاسع الهجري ، برباط السبيل — كانت تقع دار خالد بن الوليد التي اشتكى الى النبي صلى الله عليه وسلم ، شدة ضيقها ، فقال له : « ارفع البناء في السماء ، وسل الله السعة » .

وفي رأينا أنّ القبة الصغيرة المبنية بالطوب والطين ، الواقعة بمقدم الرباط ، ملاصقةً لزاوية السمان — هي بموضع دار خالد بن الوليد ، لانطباق الوصف المرويّ بشأن الدار المذكورة على هذه القبة ، فمحيطها صغير ، وهي بمقدم الرباط .

ورباط خالد بن الوليد اليوم ، وقف من اوقاف طائفة الاغوات ، وقد هدم اعاليه فخري باشا إبّان الحرب العالمية ، ما عدا القبة المشار اليها آنفًا ، فقد ُحفظت من عادية الهدم.

وبمؤخر هذا الرباط كانت تقع دار عمرو بن العاص ، فاتح مصر وبطل اجنادين .

اما انتقال دار خالد هذه من الملكية الى الوقفية ، فقد تم في عهد صاحبها ، إذ قد روى الواقدي أنه كان حبسها (اي وقفها)

فلا تباع ولا توهب ، ثم انتقلت لأولاده وبانقراضهم ، انتقلت لأيوب بن سلمة بطريق الأرث ، ولذريته من بعده ٠

وفي اوائل القرن الثاني عشر الهجري كانت قسماً من هذا الرباط المنسوب لصاحبها والذي هو من اوقاف الاغوات ، منذ ذلك التاريخ الى اليوم ، بموجب الحجة المخرجة من محكمة المدينة الشرعية بتاريخ ١١ ربيع الثاني سنة ١١١١ هـ ٠

[٩]
دار مروان بن الحكم

لمروان بن الحكم ، امير المدينة ، في اوائل النصف الثاني ، من القرن الاول الهجري ، صفحة ناصعة في عمران المدينة ، فهو مُبلِّطُ اطراف المسجد النبوي بالحجارة ، ومُجرِي العين الزرقاء وباني هذه الدار الفخمة ، التي ظلت بعده « مقر » امراء المدينة ، الى امد مجهول لدينا الآن ٠

كانت دار مروان ، في موضع المدرسة البشيرية ، الملاصقة للمسجد النبوي اليوم من جهته الجنوبية الغربية ، شرقي باب السلام ، وقد سبق ان سمي هذا الباب ، من ابواب المسجد النبوي ، بباب مروان ، لملاصقة داره هذه له ٠ وكان في موضع المدرسة البشيرية

« ميضأة قلاوون » التي انشأها بموضع دار مروان ، سنة ٦٨٦ هـ .

إذاً فدار مروان ، انما اعتورها ، طول مدى ثلاثة عشر قرناً ، انقلابان ليس الاّ !

تقسيم التصور

القصور

تمهيد :

ما اكثر القصور التي شيدت بالمدينة المنورة وضواحيها في سالف الازمان ؟ وما اقل الباقي منها الى اليوم ! فالقصر الوحيد الذي لازالت اطلاله ماثلة ، دون سواه — هو قصر سعيد بن العاص .

وفيما يلي وصفه : —

[١]

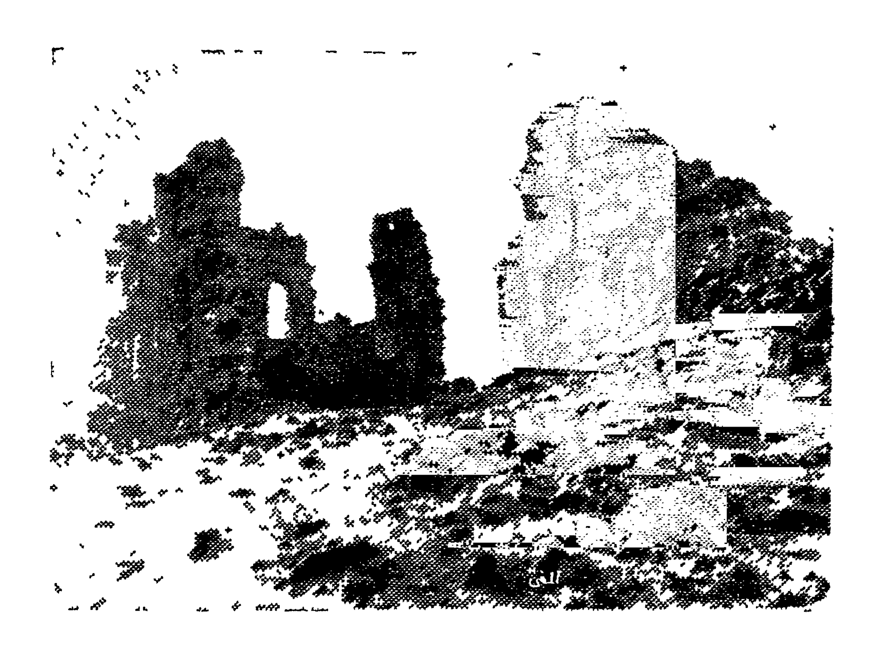
قصر سعيد بن العاص

وصفه . جهته بالنسبة للمدينة
ومسافة بعده عنها وطريقه منها .
نبذة من تاريخه .

وصفه : — يقوم هذا القصر ، في وسط العرصة الصغرى من العقيق ، وبشرقيه على مسافة قريبة منه ، بستان ، وطوله نحو ٣٦ متراً ، وعرضه نحو ٢٧ ، وارتفاع اطلاله الباقية نحو ٩ أمتار ، وسمك جدرانه ٧٦ سنتمتراً ، وطوله وعرضه المذكوران إنما هما بضم الاقسام المتساقطة منه اليه ، وبناؤه بالحجارة المتوسطة الحجم ، وبالجص وحجارته غير منحوتة ، ولا اثر فيها للكتابة ، انما نوجد في بعض اروقته ونوافذه نقوش على الجص ، وزخرفة بالطوب المجصص ، وقد عبث البدو بناحيته الجنوبية الشرقية ، إذ — استحدثوا بها بناءً مسقفا لايواء حيواناتهم .

والقصر مطليٌّ بالجص من داخله وخارجه ، ولمتانة بنائه وتجصيصه بالصفة المذكورة تأثير كبير في بقائه الى هذا اليوم برغم اندثار ما بالعقيق من سائر القصور :

وفي جنوب القصر مسطبة (دكة) مندثرة لعلها كانت معدة للجلوس والسمر ، في ليالي القمر ، والعشيات والبُكَر .



بقايا قصر سعيد بن العاص

وبقربة منه جنوباً وشمالاً ، تُرى سلسلة اكوام ، يعلوها رمل الوادي الأحمر ، وهي آثار دور قد تكون الدور المسماة بالقرائن التي كانت لبني سعيد ، على ما رواه صاحب الاغاني ٠

جهته بالنسبة للمدينة ومسافة بعده عنها وطريقه منها : — القصر في ضاحية المدينة الشمالية الغربية ، ويبعد عنها نحو ساعتين بالسير المتوسط ٠ والطريق الموصل منها اليه هو هذا : —

الباب الشامي — ثنية الوداع — طريق بئر رومة — لفتة الى الغرب — طريق القصر — القصر ٠

نبذة من تاريخه : — جاء في وفاء الوفا : « ابتنى سعيد بالعرصة قصراً في سرتها » وفيه أن القصر بالعرصة الصغرى . وفي مرآة الحرمين ايضاح لموقع هذه العرصة اذ ورد فيها ما تلخيصه : « القسم المقارب للمدينة من العقيق الغربيّ يسمى العقيق الكبير ، وفيه بئر عروة ، والقسم الشمالي يسمى العقيق الصغير ، وفيه بئر رومة ، وبهذا العقيق الصغير عرصتان : كبرى وهي التي تلي بئر رومة ، وصغرى تقع جنوبيّ الكبرى »

وسعيد باني هذا القصر هو أحد أُمراء المدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وهو من مشاهير أجواد بني أمية ، وقد كان معجباً بقصره هذا كل الاعجاب ، ولذا خصصه للنزهة مما يدلنا على مبلغ عنايته بتشييده وتأنيقه .

قال البتنوني في رحلته : وكان هذا القصر في أيام صاحبه آية في جماله وفخامته ، بل كان آية من آيات القرن الأول الهجري وأعجوبة من أعاجيبه ، حتى فضله الشاعر على أبواب جيرون (دمشق) التي كانت في ذلك العهد عاصمة الخلافة ومكان فخامتها وابهتها . اه

والشاعر الذي يشير اليه البتنوني هو ابو قطيفة اذ يقول :

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى الى النفس من أبواب جيرون

قِسْمُ الحُصُونِ وَالآطَامِ

الحصون والآطام

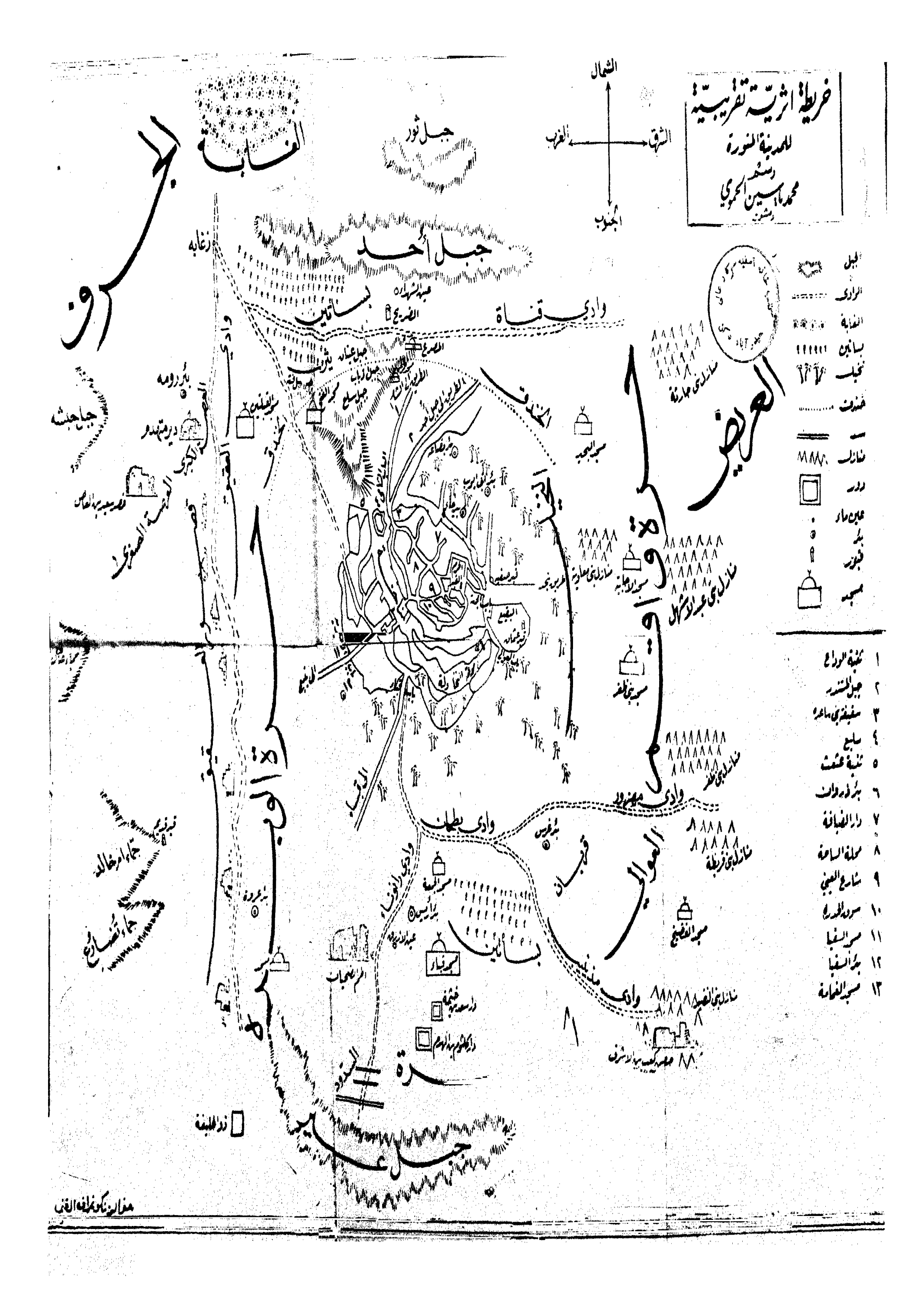
تمهيد :

فيما قبيل الاسلام كان سكان المدينة يتنافسون في بناء الحصون وتشييد الآطام ؛ والباعث الوحيد لهم على ذلك هو الالتجاء الى هذا النوع من البناء العاصم ، اذ نشبت حرب بين مختلف الطوائف كما هو دائم الحصول .

والآطام ، وان تكن من نوع الحصون بالمعنى العام ، الاّ أن لها وضعاً خاصاً ، فهي تشاد بالحجارة المختلفة الأقدار بينها حشو الطين ، ولها مساطب عالية تشرف على ماحولها ويتنزّهُ من فوقها . أما الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المربعة ، ولا حشو بينها ، وقد تكون الآبار بداخلها . هذا ما استنتجناه من الحصن والاطم الماثلين لليوم .

وكان المرجّى أن تبقي لنا يد الأيام طائفة من الحصون والآطام الكثيرة ، ولكنها لم تبق سوى اثنين هما : حصن كعب بن الأشرف ، وأطم الضحيان .

وفيما يأتي وصفهما :



خريطة اثرية تقريبية
للمدينة المنورة
رسم
محمد ياسين الحموي
الشمال
الشرق
الغرب
الجنوب
جبل ثور
جبل أحد
الغابة
الجرف
وادي قناة
بساتين
العريض
حرة واقم
حرة الوبرة
وادي بطحان
العوالي
قربان
جبل عير
الجبل
الوادي
الغابة
بساتين
نخيل
خندق
منازل
دور
بئر
قبور
مسجد
١ ثنية الوداع
٢ جبل المستندر
٣ سقيفة بني ساعدة
٤ سليع
٥ ثنية عثعث
٦ بئر ذروان
٧ دار الضيافة
٨ محلة الساحة
٩ شارع النبي
١٠ سور المدينة
١١ سور السقيا
١٢ بئر السقيا
١٣ مسجد الغمامة

[١]

حصن كعب بن الاشرف النبهاني (١)

وصفه • تحقيق عنه • عقبة علمية
وحلها • جهته بالنسبة للمدينة • مسافة
بعده عنها • طريقه منها •

صفه — يقوم على هضبة من الحرة الجنوبية الشرقية للمدينة ،
، ٣٣ متراً في عرض ٣٣ وارتفاع مابقي من جدرانه ٤ أمتار
'ها متر ، وله باب واحد في الجهة الغربية وثمانية أبراج ضخمة
ها من حجارة ضخمة ملتصق بعضها ببعض مباشرة ، طول بعضها
سنتيمتراً وعرضها ٨ سنتيمتراً وسمكها ٤٠ سنتيمتراً .
لا أثر فيه للنقوش ولا للزخرفة — بناء حربي محض ، وبوسطه
واسعة مربعة تبلغ مساحتها الف متر مربع ، وهي غير مرصفة

ليس كعب بن الأشرف يهودياً ولكنه عربي نبهاني طائي ، مستخول
النضير ، وكانت له منزلة عالية بينهم ، لما لأخواله من المكانة في بني
كما له منزلة بين العرب لذلك ولشعره ، وبهذا الشعر طالما ألب المشركين
بة المسلمين ، وطالما سب أعراضهم ، فكفاً لاذايته بهذا العمل لله
، وللمؤمنين ، دعا النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لقتله ،
ضهم لتنفيذ رغبته العالية ، فذهبوا اليه في حصنه ليلاً واحتالوا عليه
رجوه منه وذهبوا به الى شرقي المدينة فقتلوه هناك .

ولا مبلطة ، فالصخور الحرية نائثة فيها ، وبينها انخفاضات وارتفاعات

وبجوانب الحصن من الداخل ١٠ غرف مختلفـة الأقيسة ، وأعاليه مهدمة .



بقايا حصن كعب بن الأشرف

ولمّا جاء في كتب التفسير والحديث والسيرة من كون بني النضير لمّا غُلبوا في محاصرة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واستسلموا عام ٣ أو ٤ هـ ، وحصل الاتفاق على جلائهم من المدينة مع حمل ما يستطيعون حمله من أمتعتهم غير السلاح ، ومن ذلك أُخشاب سقوف حصونهم ونجف أبوابها الجميلة المزخرفة — نقول : نظراً لما

ذكر نرى أن سقوف هذا الحصن وعقوده خربت من ذلك العهد ونقلت أخشابها فيما نقل يومئذ .

وإنّ هذا الحصن الهائل ، ذا الحجارة الضخمة السود ، والابراج العظيمة ، ليعطينا صورة ناطقة ، عن كيفية بناء الحصون ، هنا قبيل الاسلام .

تحقيق عنه : — بقي علينا : هل هو ذا حصن كعب بن الاشرف بعينه ام هو حصن سواه ؟ وقبل الاجابة عن هذا السؤال ، أمهِّد للقارئ بما رواه المؤرخون عن موقع الحصن ومنازل بني النضير ، التي هو من جملتها . .

في وفاء الوفا : أنه لمَّا هتف ابو نائلة بكعب بن الأشرف ، وهو في حصنه ببني النضير ليلة قتله : نزل له .

وفي سيرة ابن هشام ، ولكامل لابن الأثير ، ذِكْرٌ لحصن كعب ، ولكن بدون تعرض منهما لموقعه .

بحثت عن منازل بني النضير التي فيها الحصن ، فعثرت في وفاء الوفا ، ومجلة الزهراء ، على أنها تقع بحرة زهرة (الحرة التي بطرف العالية) ، وبأطراف وادي مذينيب ، وبالنواعم وما والاها إلى الحرة . .

وفي هذا الصدد يحكي السمهودي مشاهداته اذ يقول : « ورأيت بالحرة في شرقيّ النواعم ، آثار حصون ، وقرية بقرب مذينيب ، يظهر أنها من جملة منازلهم » أي منازل بني النضير .

عقبة علمية جديدة حالت دون اقتناعي تماماً بأن هذا هو حصن كعب بن الاشرف ، برغم قيام الدلائل الموضحة سابقاً .

وتلك العقبة هي : أنه اذا كان هذا هو حصن كعب بن الاشرف ، وهو معد للاقامة والحرب والحصار ، فمن اين يشرب سكانه ، اذا نفذ ما اتوا به من ماء ، من الخارج ؟ لا جرم من وجود بئر بداخله ليتحقق انه هو ، والا فلا .. وفي فكري أني لم اعثر على بئر بداخله ، في اثناء جولاني في رحبته ، وانحائه الداخلية .

قد يقول قائل : كثير من الحصون لا آبار فيها ، فاقول له نعم : ولكن ليست كلها سواء ، فمثل حصن كعب ، المعد للاقامة والطوارئ معاً ، في موقع كموقعه ، ومكانة كمكانة صاحبه : لابد ان تكون فيه بئر داخلية [1] سداً لثلمة الاحتياج الى الخارج في الزم شيء لحياة الانسان ، وهو الماء ، اذا اشتد الامر ، وحوصر من بداخل الحصن مدة طويلة ، كما هو متوقع .

في الحق ان مشكلة عدم عثوري على بئر بداخل الحصن ، اغتص بها ربق فكري امداً مديداً ، وفكرت فيها ، شهوراً ، وحادثت عنها بعض الرفاق .. حتى كان عام ١٣٥١ هـ فذهبت في احد شهوره

(١) يؤيد هذه النظرية ما ورد في سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ١٩٥) من حصار النبي صلى الله عليه وسلم لبني قريظة فجأة في حصونهم ٢٥ يوماً فلولا أن بداخلها آباراً ، لما استطاعوا المقاومة طول هذه المدة .

معهم الى الحصن، فوجدنا - مصادفة - صاحبي « عليًا » وبعد التحيات، والترحيبات والتعريفات ، أعاد كلمته الاولى : « انتم مقصدكم ان تتفرجوا على الحصن ؟ » .. فقلنا : «نعم» ، فتقدّمنا يقفز امامنا بخفة ، فوق حجارة الحرة، وصار يدلنا ، ويحكي لنا حكايات عن الحصن، ويقول: انه ورثه من اجداده ، وانه ، وانه .. فاجأته بسؤال ، مستوضحاً ومختبراً : « يا اخي عليّ ! اين البئر ؟ لا بد ان تكون بداخل الحصن . » .. وحالاً افاض الأخ عليّ ، بما طيب الخاطر ، وحل عقدة الاشكال .

قال : « تعالوا اريكم البئر ، ها هي : (في الجهة الجنوبية خارج الحصن ملاصقة له) وقد انهارت بطول الزمن » .

فقلت له : « اذا كانت بئر الحصن هي هذه على ما تقول ، فالمستقون منها ، لم ينجوا ، بعدُ ، من خطر الاعداء ، لانها خارجة عن الحصن » .

قال : « لا .. ان مدخل البئر من داخل الحصن هنا - (واشار الى مكان بداخل الحصن مناوح للبئر الخارجية) بدرج ، ينزل منه المستقون ، من تحت هذا البرج ؛ وقد طم التراب والحجارة على المدخل والدرج .. أولاَ ترى هذا البرج ؟ »

قلت : « بلى ، اراه ! » .

وهو واقع بالعرصة الكائنة غربيّ بئر شميله ، وشماليّ العصبة .

طالما وقفت مبهوتاً امام هذا الاطم العظيم ؛ وقد كنت إخالُ أنه من آطام اليهود ، حتى عثرت في وفاء الوفا ، على ما كشف لي عن حقيقته .. قال السمهودي في معرض بحثه عن منازل الأنصار : « وابتنى احيحة بن الجلاح بالعصبة أُطماً ، يقال له الضحيان ، وهو الأُطم الاسود الذي بالعصبة » .

والعصبة على ما يفهم من فحوى اقوال مؤرخي المدينة هي عموم هذه البساتين الواقعة غربيّ مسجد قباء ، التي يفيض فيها وادى رانوناء ، كما ان السيح او السيحيّ هو البساتين التي بغربيّ مسجد الفتح في العرف القديم .

وهذا الاطم جاهليّ كغيره من آطام المدينة .[1]

---

(١) في وفاء الوفا (ج ص ٤٧ ؛ و ١٤٨ ما يدل على ان جميع آطام المدينة جاهلية البناء ، ما عدا اطم بني ساعدة ، فقد قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو يبنى .

قِسْمُ المَسَاجِدِ

المساجد

تمهيد :—

المدينة بلد المساجد ، وبما أن موضوع كتابنا محصور في الآثار فقد اكتفينا بايراد المأثور منها ؛ وليس كل المساجد المأثورة ذكرنا ، بل المشهور ، وما تحققناه من المغمور ، وقد راعينا في هذين النوعين أن يستجمعا شرطين :—

١— ثبوت علاقة المسجد بالرسول عليه الصلاة والسلام أو ببعض أصحابه .

٢ — تحقق موضع المسجد المشار اليه .

هذا ومما يجدر ذكره أنه لم يبق الى اليوم مسجد من المساجد المأثورة على بنايته الأولى بعينها ، فقد حصل في جميعها التجديد ، وذلك لأمرين :

١ — عناية المسلمين بها .

٢ — بناياتها وتأثرها بالعوامل الطبيعية ، من حر وبرد ورياح وأمطار .

وفيما يلي وصف المساجد المأثورة :

[١]

مسجد قباء

جهته بالنسبة للمدينة ووصفه · مسافة
بعده عنها وطريقه منها · تاريخ عماراته

جهته بالنسبة للمدينة ووصفه — مسجد قباء في الجنوب الغربي للمدينة ، شكله مربع وضلعه ٤٠ متراً ، وعدة أساطينه ٢٩ ، وفيه محراب ، ومنبر رخامي عتيق ، كان الأشرف قايتباي أهداه للمسجد النبوي ليوضع في مكان المنبر المحترق ، وذلك سنة ٨٨٨ هـ وبعد أن بعث السلطان مراد العثماني بالمنبر الحالى الى المسجد النبوي نقل هذا المنبر الى مسجد قباء ·

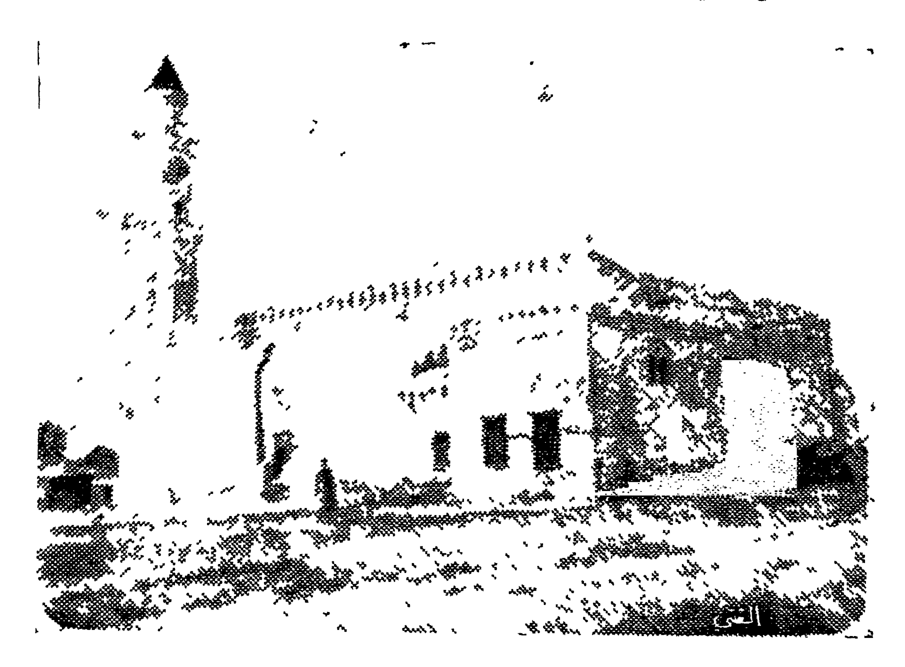
ولمسجد قباء مأذنة وفيه رحبة محصبة ، فيها قبة يقال إن بها مبرك ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي الرحبة بئر · وبجدار المسجد القبلي في شرقيه محراب يقال له : (طاقة الكشف) · وفيه يقول صاحب مرآة الحرمين : (ولا أدري كشف أى شيء ؟)

ومما يلفت النظر من آثار هذا المسجد هذا الحجر المنقوش بالخط الكوفي القديم فانه ناطق بعمارة المسجد من قِبل أحد الأشراف عام ٤٣٥ هـ ، وكأنه نقل في بعض تعميرات المسجد من بابه الى هذا المحراب · وهذا نص ما عليه[١] :—

(١) مع ما لهذا الحجر من أهمية أثرية وتاريخية معاً ، لم يتعرض له مؤرخوا المدينة الذين اطلعت على تواريخهم ·

بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله (الآية) أمر بعمارة مسجد قباء الشريف أبو يعلى أحمد بن الحسن بن احمد بن الحسن رضي الله عنه ابتغاء ثواب لله وجزيل عطائه....على يد الشريف حسن المسلم...بن عبد الله بن مسالك، في سنة خمس وثلاثين واربعمائة هـ)

وللقسم المسقف من المسجد قباب ، وعـدة أروقته ٦ ، وفى الرواقين اللذين بمؤخره غرفة لوضع أمتعته وفرشه ، وله دعائم خارجية فى جنوبه وشماله وشرقه ، لتقوية جدرانه من هذه الجهات نظراً لانخفاض ما يجاورها من الأرض .



مسجد قباء

مسافة بعده عن المدينة :— يبعد عنها نحو ٤٠ دقيقة بالمشي المعتدل، باعتبار مبدإ السير من باب قباء

طريقه منها :— كان لمسجد قباء طريق ضيق معوج جداً ، يتجه بعد باب قباء الى الجنوب الغربي ، ثم ينعطف الى الشرق ، ثم يعود الى الجنوب ؛ وهكذا حتى يصل الى المسجد ، وهو مع هذا مملوء بالحُفَرِ والشقوق ، وعلى طرفيه الصِّيِّرانُ (النخل الصغير النابت من النوى رأساً) التي يضايق سعفها المارين .

وفي عام ١٣٣٦ هـ شق فخري باشا طريقاً مستقيماً واسعاً الى المسجد وغرس بجوانبه الوَدْيَ (صغار النخل) والأثل لتظليل السائرين ، وظلت هذه الجادة مسلوكة طول مدة الحكومة الهاشمية وشيئاً من عهد الحكومة السعودية ؛ فلما أصدرت هـذه ، الاذن لأصحاب البساتين ، باستعادة ما اقتُطِعَ منها للجادة الحديثة ، حجز كلٌّ مايخصه ، وبذلك بدأ دور انقطاعها حتى وصل الأمر أخيراً الى سدها بالمرة ، فعاد المشي من الطريق القديم الملتوي ، وفي عام ١٣٥١ هـ جدد فتح هذا الطريق معالي وكيل أمير المدينة عبدالعزيز ابن ابراهيم ، حيث اهتم بشراء ستة عشر قطعة من الأراضي الواقعة فيه بماله ، وجعلها وقفاً لله تعالى من لدنه ، كما تنطق به الحجة المخرجة من محكمة المدينة الشرعية الكبرى المؤرخة في ١٩ جمادي الاولى

سنة ١٣٥٣ هـ والمقيدة في سجل هذه المحكمة بعدد ١٠٧ جلد ١ ، وقد أزال الحواجز ، وأعاد فتح الطريق من جديد ، وبنى بجانبها أعلاماً للتجديد ، فرجع السير فيها كما كان .

والطريق الجديد يبتدئ من باب قباء ، ويتجه الى الجنوب ، فاذا حاذى بستان الجزع ، انحرف الى الشرق ، ثم الى الجنوب حتى يبلغ مسجد قباء .

تاريخ عماراته : — أُسس هذا المسجد المبارك ، على يد النبي صلى الله عليه وسلم ، لأَول مرة ، وذلك حين قدومه الى قباء من مكة في الهجرة ، وهو اول مسجد اسس في المدينة وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يعمل فيه بنفسه

ثم لما اعتراه الخراب في خلافة عثمان بن عفان جدده وزاد فيه .

ومن بعده عمر بن عبد العزيز في زمن إمارته على المدينة ، للوليد ابن عبد الملك الاموي (٨٧ — ٩٣ هـ) وقد بالغ عمر في تنميقه وتوسعته ، وهو اول من عمل له مأذنة ، وجعل له رحبة وأَروقة

وفي سنة ٤٣٥ هـ عمره ابو يعلى الحسيني كما ينطق به الحجر الاثري ، الموضوع على المحراب المعروف بطاقة الكشف .

وفي عام ٥٥٥ هـ جدده جمال الدين الاصفهاني باني رباط العجم قرب باب جبريل . وجدد في سنة ٦٧١ هـ ، وفي عام ٧٣٣ هـ ، وعام ٨٤٠ هـ ، وعام ٨٨١ هـ .

وفي زمن الدولة العثمانية عمر عدة مرات ، وآخرها عمارات حدثت في عهد السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٥ هـ وابنه السلطان عبد المجيد ٠

[٢]

مسجد الجمعة

يقع هذا المسجد في بطن وادي رانوناء بشرقي الطريق المستحدث الى مسجد قباء ، ويراه سالك هذا الطريق الى قباء عن يساره في وهدة من الأرض ، وذلك قبيل بستان الجزع ٠

وطول مسجد الجمعة ٨ أمتار في عرض ٤ أمتار و ٥٠ سنتيمتراً وارتفاعه ٥ أمتار و ٥٠ سنتيمتراً وهو مبني بالحجارة المطابقة بناءً جيداً ، وله قبة واحدة مبنية بالطوب الأحمر وبالجير ، في داخلها من العلو أربع فتحات ، توصل اليه النور والهواء ، وله حظيرة في شماله طولها ٨ أمتار في عرض ٦ ، وارتفاع جدرها متران ٠

وعلى جنبتي بوابة المسجد التي هي عبارة عن عقد مفتوح بغير مصراعين — حجران من الرخام الأبيض مستطيلان مثبتان في الجدار ،

وهما منقوشان بخط متداخل جداً ، قرأت منه : (أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجمعة مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة ...) .

والسلطان بايزيد هذا من سلاطين آل عثمان ، وتولى السلطنة مابين عامي ٨٨٦ هـ و ٩١٨ هـ . وإذاً فبناية مسجد الجمعة الحالية لها الآن نحو أربعة قرون ونصف .

ومسجد الجمعة مأثور ، ويكفيه أنه أول مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس ، وذلك حينما أقبل من قباء الى باطن المدينة أيام الهجرة .

وكان المسجد في الأصل واقعاً في منازل بني سالم من الانصار ، أما اليوم فهو في وسط صفصف خالٍ ، بشرقيه شجرات الطرفاء الباهتة المعوجة ؛ وبغربيه قطعة أرض جرداء ، وبجنوبه بستان ، وبشماله بستان ، وكان يعرف بثلاثة أسماء : مسجد الجمعة ، ومسجد الوادي ، ومسجد عاتكة . ولما في الاسم الاول من قوة ودلالة على المسمى تغلب اطلاقه على المسجد ، وبه يعرف الى اليوم .



[٣]

المسجد النبوي

موقعه ووصفه العمومي . زخرفة قبابه . جداره القبلي . المحراب العثماني . المحراب النبوي . المنبر . مقصورة المبلغين . المحراب السليماني . الحجرة الشريفة . محراب التهجد . دكة الاغوات . محراب مشائخ الحرم . الاعمدة . الصحن . مصلى النساء . مخزن الزيت . المآذن . الابواب . كتاتيبه . ميضآته . الخزائن . الثريات والقناديل . انارته . النخلتان . فرشه . صنابيره . مخازنه . تاريخ عماراته .

* موقعه ووصفه العمومي :- هـذا المسجد الشريف في قلب المدينة ، من ناحيتها الشرقية ، وهو شبه مستطيل .. قال صاحب مرآة الحرمين : « طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦/٢٥ متر ، وعرضه من الجهة القبلية ٨٦/٢٥ متر ، وعرضه من الجهة الشمالية ٦٦ متراً » اهـ .

وأغلبه مسقف بالقباب ، وبناؤه شامخ في السماء ، وأروقته ٢٠ ، منها ١٢ في جنوب صحنه و ٣ بشماله و ٢ بشرقه و ٣

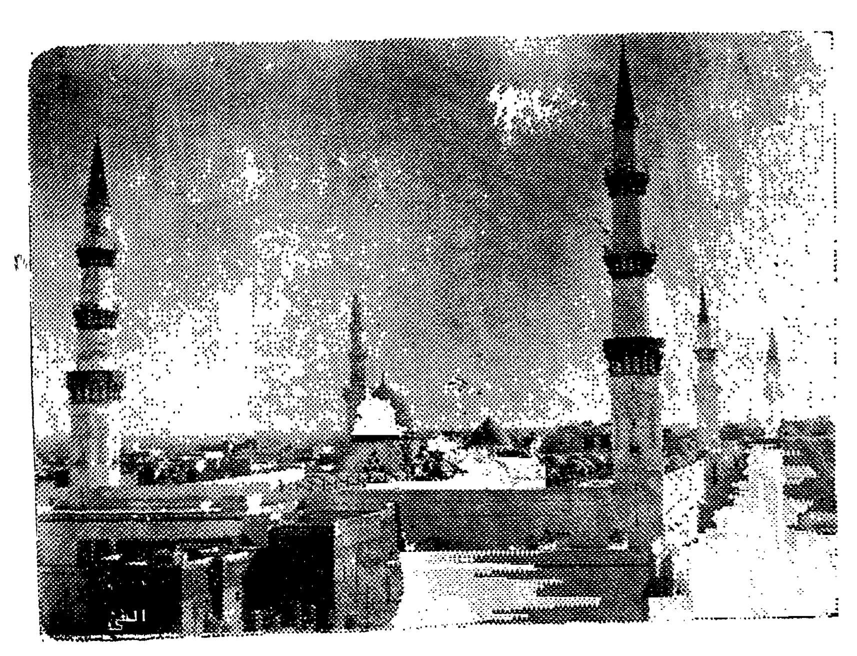
بغربه ، وقبابه مشادة على عقود ، تحملها أساطين من الحجر الاحمر ، تجمع الى المتانة : الرشاقة والابداع ؛ منها المستدير ، وهو ماداخل الأروقة ، ومنها المربع ، وهو الملتصق بجوائط المسجد ، وعدتها جميعاً ٣٢٧ ، تنقسم هكذا :-

ا - في الجهة الجنوبية للصحن : (٢٢٣ منها ٣١ مرخمة الى انصافها ، بقطع ملونة

ب - في الجهة الشمالية « : (٢٥)

ج - في الجهة الشرقية « : (٢٧)

د - في الجهة الغربية « : (٥٢)



المسجد النبوي

زخرفة قبابه :— وفي تجاويف قبابه غرائب من صور النباتات، والأزهار والأستار، تخلب الأبصار، وبينها آيات وقصائد مكتوبة بخط بديع .

زخرفة الجدار القبليّ :— في هذا الجدار أشكال الفسيفساء الجميلة، ويعلوه (١٤) كوة مكونة من شبكة حديدية، في منتهى الدقة والانتظام، وأمام المواجهة الشريفة نافذة تطل على دار عبدالله ابن عمر .

المحراب العثماني :— يقع في وسط هذا الجدار القبليّ، وهو محلى بقطع الرخام الملون، وتمر فوقه مناطق فيها آيات بخط غاية في الابداع .

وأرض الرواقين الجنوبيين مفروشة بالرخام الأبيض، وفي نهايتهما غرفة يتجه بابها الى الغرب .

ويفصل بين الرواقين، وبين الروضة والمحرابين : النبويّ والسليمانيّ سور صغير من صفر ذي شبك، وله بابان عن يمين المنبر ويساره .

المحراب النبوي :— هو في شرقي المنبر، وما بين المنبر والقبر الشريف هو الروضة وقياسها ٢٢ متراً، في عرض ١٥ متراً، وتزينه الآيات المرقومة بماء الذهب، وقطع ملونة من الرخام، وناهيك بجمال العمودين بجوانبه، فهما من الرخام الأحمر ذي اللون

الاثمدي، وفي الجانب الغربي من المحراب مكتوب : « هذا مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وشكل بناية هذا المحراب ينبئ على أنه قرين المحراب السليماني في تاريخ العمارة ، وقد حصل فيه ترميم مدة فخري باشا .

المنبر :— وهو بغربي المحراب النبوي ، وبه اثنتا عشر درجة ثلاث بخارجه وتسع بالداخل ، والمنبر مصنوع من المرمر ، وظاهره مغمور بالتذهيب ، وبالنقوش الفائقة ، وفوقه قبة لطيفة قائمة على اربعة أعمدة رشيقة من المرمر ، وفوق بابه شرفات آية في الابداع وإن لماء الذهب لبريقاً حتى لكأن الصانع فرغ من صنعه بالأمس ، وتاريخ عمارته وارساله من قبل السلطان مراد هو سنة ٩٩٨ هـ كما تنطق به ألايات المنقوشة على بابه .

مقصورة المبلغين :— وتسمى « المكبرية » ، وهي أمام المنبر في شماليه نحو ٥ امتار ، ومنها يقيم المبلغون الصلوات ، وهي عبارة عن مربع رخامي قائم على ثمانية أعمدة رشيقة ، ستة منها محلاة بصبغ أحمر عقيقي اللون ، واثنان أبيضان .

المحراب السليماني :— في غربي المنبر ، وهو على شكل المحراب النبوي ، في البناية والزخرفة تماماً ، وبظهره كتابة تصرح بأنه بني سنة ٩٣٨ هـ وبانيه السلطان سليمان ، وقد حصل فيه ترميم عمومي زمن فخري باشا .

الحجرة الشريفة :— وتسمى قديماً بالمقصورة .. قال صاحب مرآة الحرمين : «وفي زاوية المسجد الجنوبية الشرقية جزء فصل من المسجد بسور من النحاس الأصفر[١] طول كل من ضلعيه الجنوبية والشمالية ١٦ متراً ، وكل من الشرقية والغربية ١٥ متراً ، ويقال له المقصورة الشريفة » . اه . وبناء المقصورة الحالي من آثار الملك الأشرف قايتباي ، من سورها الخارجي المعروف بالشباك ، الى قبته الخضراء ، الى دائرها المخمس ، الى القبـة الداخلية المبنية بحجر أسود وأبيض الكائنة فوق الحجرة النبوية التي فيها القبور الثلاثة الشريفة ، قبر سيد الأنام «محمد» عليه الصلاة والسلام ، وقبرا صاحبيه وخليفتيه : « أبي بكر الصديق » و «عمر الفاروق» رضي الله عنهما .. فلهذه البنايات المؤلف منها ما يسمى بالمقصورة أو الحجرة ، ما ينوف على أربعة قرون .

وللسور الخارجي المعروف بالشباك اربعة ابواب :—

١ — باب قبلي ، يسمى باب التوبة ، وعليه صفيحة فضية مرقوم فيها تاريخ صنعها : سنة ١٠٢٦ هـ

٢ — باب في الشمال يقال له باب التهجد .

٣ — باب في الشرق يدعي باب فاطمة .

٤ — باب في الغرب .

(١) لكنه مصبوغ بصبغ أخضر زاه ثابت .

ومُسبلٌ على الشباك ستائر من الأطلس الأخضر ، وكذلك على الدائر المخمس .

وقد حفر الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٥٧ ﻫ خندقاً عميقاً حول الحجرة ، وصب فيه الرصاص ، للحيلولة بين الجسد الشريف ، ومن يريد الوصول اليه .

وقطعتا الألماس المعروفتان بالكوكب الدُّرّيّ ، اللتان وصفهما ابراهيم باشا رفعت ، في كتابه « مرآة الحرمين » نقلتا فيما نقل من ذخائر الحجرة ، الى الاستانة في زمن الحرب العامة ولم تُعادا الى الآن سنة ١٣٥٣ ﻫ .

وبشمال الدائر المخمس ، في داخل الشباك حجرة فاطمة او قبرها . وبخلفه محراب يقال له محراب فاطمة .

وما بين الدائر المخمس والشباك مفروش بالمرمر ، وكذلك مابين جميع اعمدة المسجد ، وما بين باب الرحمة ، وباب النساء ، والاروقة التي بين باب الرحمة ومخزن الزيت بمؤخر المسجد ، والأروقة الواقعة بشرقيّ صحن المسجد .

محراب التهجد — وفي شمال الشباك من الخارج محراب يسمى « محراب التهجد » ، جُدِّد في عهد السلطان عبد المجيد .

دكة الاغوات — هي بشمال المحراب المذكور ، وهي الصفة التي كان يكون فيها فقراء المهاجرين وهي اليوم عبارة عن دكة طولها ١٢ متراً في عرض ٨ ، تعلو عن الارض التي حولها بنحو نصف متر ، وعليها درابزين من الصفر ، وبجانبها الى الشرق مخزن ، أمامه دكة كانت معدة لجلوس شيخ الحرم النبوي ٠

محراب مشائخ الحرم — هو في شمال دكة الاغوات بمسافة اربعة امتار ٠

الأعمدة — واغلب الاعمدة ، احمر اللون ، مكسو القواعد بالصفر ، ومنها ٣١ عموداً مكسوة بقطع الرخام الملون الى انصافها ٠

الصحن — وللمسجد صحن واسع مفروش بالرمل الأحمر المجلوب له من عرصة العقيق وبناحية الصحن الجنوبيـة الشرقية بئر ذات فتحة مرخمة ، وما يحيط بالصحن من جدر المسجد احمر اللون كاغلب عواميده ٠

مصلى النساء — هو في الرواقين اللذين بشرقي الصحن ، وهو عبارة عن قضبان من الخشب دقيقة متلاصقة بتقاطع ، مصبوغة بلون اخضر واصفر ٠

مخزن الزيت — في موخر المسجد ، وهو كبير مبلط بالحجارة السود ، وله بابان صغير من الداخل وكبير من الخارج ٠

مآذن المسجد – خمس ، اربع منها شامخة ، وهي : (١) الرئيسية بالجنوب الشرقي من المسجد و (٢) منارة باب السلام بالجنوب الغربي منه ، و (٣) السليمانية شرقيّ الباب المجيدي و (٤) الشكيلية شماله ، و (٥) منارة باب الرحمة ، وهي اوطأ من الجميع . وكل المآذن حصل فيها ترميم غير هذه .

ابواب المسجد – خمس ، كعدة مآذنه .. (١) باب السلام في الجنوب الغربيّ وكان يسمى باب مروان ، و (٢) باب الرحمة بشماله الغربيّ وكان يقال له : باب عاتكة ، و (٣) باب النساء يقابل باب الرحمة من المشرق ، وكان يسمى باب ريطة ، و (٤) باب جبريل بحذاء باب النساء من الجنوب ، و (٥) الباب المجيدي ، بشمالي شرقي المسجد ، ومصراعا كل باب من هذه الابواب الخمسة في غاية من الجودة والحسن .

كتاتيبه – في الردهة التي بداخل الباب المجيدي غرف مجعولة لتعليم الاطفال ، القرآن الكريم ، ومبادئ القراءة العربية على المنهج القديم ، وفوقها غرف مثلها .

ميضأته – بابها يقع بجانب مخزن الزيت ، ولها درج يصعد منه اليها .

الخزائن – وبشرقيّ المسجد من باب المأذنة الرئيسية الى الباب

المجيدي ٣٦ خزانة وبناحيته الغربية من باب السلام الى باب الرحمة ٨ خزائن كبيرة ، بينها خوخة ابي بكر رضي الله عنه .

جدران المسجد — هي بصفة عمومية ، مبنية من الحجر الأسود المنحوت المطابق ، وهي في غاية المتانة ، وسمكها نحو ٣ امتار ، وكلهامطلية بالجير داخلاً وخارجاً،مع ملاحظة مابداخلها من النقوش .

الثريات والقناديل — وبالمسجد ثريات كبيرة ، اعظمها اللتان في المسقف الجنوبيّ للصحن ، وفيه قناديل كثيرة معلقة في عوارض حديدية بين الاعمدة .

إنارته — كانت إنارته بالزيت والشمع الى أن بعث السلطان عبد الحميد الثاني ماكنة كهرباء مع جميع تفرعاتها ولوازمها الكهربائية ، ومن ذلك الوقت الى الآن ، والأنارة جارية بالكهرباء ، وبناءً على قدم الماكنة السابقة قد أهدى الحاج الشاوي المغربيّ ماكنة جديدة ، وهي المستعملة الآن .

النخلتان — وبجانبي المنبر نخلتا صفر ، مثبتتان في الأرض ، ولكل منها جذر وجذع وساق وغصون ، وهما مثمرتان وذواتا أكمام ، ولكن ثمرهما قِطَعُ البلُّور الأبيض الصافي ، وأكمامها المصابيح الزجاجية الملونة .

فرُشُ المسجد — كان مفروشاً بالسجاجيد التركية المصنوعة في

مصنعها المعروف ب «هركه» ، ولاندثارها اعتنى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فأحضر للمسجد سجاجيد عجمية ومفارش (زل) واعتنى بفرش المسجد ، وأكمل الباقي بالبُسُطِ المهداة من مسلمي الهند ·

صنابيره — والصنابير هي (الحنفيات) المعدة للوضوء ، وهي في خارج المسجد بقرب كل من باب السلام وباب الرحمة والباب المجيدي وباب النساء ·

مخازنه — او مستودعاته ، هي المواضع التي تحفظ فيها هداياه وبقايا ترميماته ، وهي سبعة معلومة المواضع ·

تاريخ عماراته :—

١ — أسس لأول مرة على يد النبي صلى الله عليه وسلم ، في العام الأول للهجرة ، وكان أساسه بالحجارة ، وجدره من اللَّبِنِ ، وعمده الجذوع ، وسقفه الجريد ، وكانت مساحته نحو ٣٥ متراً من الجنوب الى الشمال و ٣٠ متراً من الشرق الى الغرب — عمارة بسيطة مملوءة بروح التواضع والاخلاص ، لا ابهة فيها ولا زخرف ·

٢ — زيادة النبي صلى الله عليه وسلم فيه عام ٧ هـ حتى صار مربعاً ·

٣ — زيادة عمر بن الخطاب فيه عام ١٧ هـ نحو خمسة أمتار في الجنوب و ١٠ في الغرب و ١٥ في الشمال ·

٤ – تجديد عثمان بن عفان له عام ٢٩ هـ بالحجارة والجص والعمد المحشوة بالحديد ، وتسقيفه له بالساج ، وزيادته رواقاً في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وهي منتهى الزيادات جنوبي المسجد للآن . وقد كان جعل له ستة أبواب ُسدّ منها اثنان ، والاربعة الموجودة هي من ذلك التاريخ . أما الباب المجيدي فمحدث ، كما سيأتي بيانه .

٥ – تجديد الوليد ، بدئ به عام ٨٨ هـ ، وانتهى عام ٩١ هـ وزاد فيه قليلاً من الغرب والشرق ، وأدخل ُحجَر أمهات المؤمنين في المسجد ، وأقام الدائر المخمس على الحجرة وعمره بالحجارة المطابقة والجص والعمد ، ونقش جدرانه بالفسيفساء والمرمر ، وسقفه بالساج وذهبه .

٦ – زيادة المهدي الشمالية التي هي آخر زيادة فيه من هذه الجهة ، بدأت عام ١٦١ هـ وتمت عام ١٦٥ هـ .

٧ – تجديد المستعصم له بعد الاحتراق ، ابتدأ سنة ٦٥٥ هـ وانتهى في عهد الظاهر بيبرس البندقداري .

٨ – تجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون لسقفه شرقي رحبته وغربيها ، وزيادته رواقين في المسقف الجنوبي مما يلي الرحبة عام ٧٠٥ هـ و ٧٠٦ هـ و ٧٢٩ هـ .

٩ — تجديد الروافين المذكورين آنفاً في عهد الأشرف برسباي عام ٨٣١ هـ ٠

١٠ — تجديد الظاهر جقمق لسقف الروضة ، وسقوف أخرى عام ٨٥٣ هـ ٠

١١ — عمارة قايتباي سنة ٨٧٩ هـ ٠

١٢ — عمارته العظمى المنتهية في أواخر القرن التاسع ٠

١٣ — تجديد السلطان سليمان لكامل الجدار الغربي من حذاء باب الرحمة الى المنارة السليمانية سنة ٩٧٤ هـ كما هو منقوش بعلو الجدار المذكور من الداخل قرب باب الرحمة : وكذلك بناؤه المحراب السليماني عام ٩٣٨ هـ والمحراب النبوي على ما يبدو من هيئته

١٤ — عمارة السلطان سليم الثانى سنة ٩٨٠هـ ٠

١٥ — عمل السلطان محمود قبة على القبر الشريف ودهنها باللون الأخضر الذي لا تزال تصبغ به الى اليوم ، وذلك عام ١٢٣٣ هـ و ١٢٥٥ هـ ٠

١٦ — عمارة السلطان عبد المجيد الكبرى ، بدأت عام ١٢٦٥ هـ وانتهت في عام ١٢٧٧ هـ فلها الآن ٧٦ سنة ، وفي هذه العمارة فُتح الباب المجيدي ، وسمي باسم فاتحه ٠

١٧ – ترميم فخري باشا للمحرابين : النبويّ والسليمانيّ ، وترخيم البئر التي في صحن المسجد عام ١٣٣٦ هـ .

١٨ – ترميم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لأرض المسجد مما يلي رحبته في الجهات الأربع عام ١٣٤٨ هـ ووضعه أطواقاً حديدية على بعض الأساطين التي حدث فيها انشقاق بغرب الرحبة وشرقها سنة ١٣٥٠ هـ .

١٩ – تعمير الحكومة المصرية الحاليّ لذي نخط هذه السطور والعمل مستمر فيه .

وبإلقاء نظرة بسيطة على هذه العمارات التي حدثت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لمسجده ندرك مبلغ عناية المسلمين وولاتهم به .



[٦]

مسجد المصلى ، او مسجد الغمامة

موقعه وصفته . هل كان مسجداً مبنياً في
عهد الرسول . متى أتخذ المصلى مسجداً مبنياً .
أقامة صلاة العيدين فيه . عماراته .

موقعه وصفته :— يقوم هذا المسجد في جنوب غرب المناخة ، وهو اليوم مبني بناءً متقناً بالحجارة المطابقة ، ومجصص من داخله وخارجه ، وذو قباب ست شامخة عَلَى عقود تحتها أعمدة بيضاء نقية . وبه رواقان . وبركنه الشمالي الغربي مأذنة قصيرة ، وبداخله محراب ومنبر ، وبقرب جداره الشمالي مقصورة المبلغين، وبخلفه مكان مقبب ذو شباك خشبي هو الآن « كتّاب » لاقراء الصبيان على الأسلوب العتيق .

وطول المسجد ٢٦ متراً وعرضه ١٣ متراً وارتفاعه ١٢ متراً وسمك جدرانه متر ونصف متر .

هل كان مبنياً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ :— تجيب التواريخ عن هذا السؤال بالسلب . . فصلاته ، صلى الله عليه وسلم ، العيدين انما كانت في فضاء هذه المناخة التي عرفت بالمصلى لذلك ، وكان ذلك من غير تخصيص بقعة ، وأخيراً التزم الرسول الصلاة في موضع هذا المسجد حتى لاقى ربه .

متى اتخذ المصلى مسجداً مبنياً؟ :— الوصول الى مبدإ اتخاذه مسجداً مبنياً لا يخلو من عسر وما لدينا من المراجع لم ينوه عن هذا ، غير أنه يفهم من فحوى ما رواه السمهودي نقلاً عن ابن شبة عن أبي غسان الكناني أحد أصحاب الامام مالك بن أنس : أن المصلى كان مبنياً بصفة مسجد في القرن الثاني الهجري .

أقامة صلاة العيدين فيه :— استمرت أقامتها فيه الى أواخر القرن التاسع ، ثم لا ندري هل ظلت بعد ذلك تقام فيه أم نقلت عنه ؟. وقد أدركناها تقام في المسجد النبوي ، ولا نعلم البواعث التي حملت على هـذا الا أن تكون اتساع المسجد النبوي اتساعاً كافياً لصلاة أهل البلدة به جميعاً ، وضيق أطراف المصلى بالمباني والعشش والدكاكين وغير ذلك .

عماراته :— لا ندري من نفصيلها من بدء بنايته حتي القرن التاسع . وفي الثامن عمره السلطان حسن حفيد قلاوون ، وفي التاسع جدده الأبر برديك ، وفي الرابع عشر السلطان عبد الحميد الثاني ، ولا تزال عمارته لليوم[1] .

(١) منقوش فى لوح خشبي مستطيل معلق على جدار المسجد القبلي من الداخل مانصه «بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله الآية . اللهم شفع النبي في مجدده السلطان عبد الحميد خان عز نصره » اهـ .

[٥]

مسجد الفتح

موقعه ووصفه . نبذة من تاريخه . عماراته
مسافة بعده عن المدينة . طريقه منها .

موقعه ووصفه :- مسجد الفتح كائن على قطعة من جبل سلع في ناحيته الغربية ، وهو يشرف على مجرى سيل بطحان ، وحوالي المسجد عرصة كان أهل المدينة ، بعهد الدولة العثمانيـــة ، اعتادوا الخروج اليها في بعض الأحيان ، وينصبون بها خيامهم ، ويستعرضون الفِرَق المسماة بالوجاقات .. كل فرقة لها موضع معلوم ، تُجري فيه الألعاب الرياضية والتمرينات الحربية .. وقد بطلت هـــذه العادة منذ نحو ٣٠ عاماً .

ومسجد الفتح من المساجد المبنية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبناؤه الحاضر بالحجارة والجير ، وله دعامة واحدة في جنوبه لتقويته واسناده ، وامامه رحبة مسورة بجدار قصير ؛ وهو مقبب ، طوله ٨ امتار وعرضه ٣ وارتفاعه نحوه . ويصعد اليه الانسان من مرتقى ، يوصله الى درج عدته ١٢ درجة .

نبذه من تاريخه : — روى الامام احمد في مسنده : ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاث مرات ، وفي الثالثة استجيب له فعرف البشر في وجهه ·

والاحاديث المروية في هذا الصدد تصرح بان دعاءه عليه الصلاة والسلام بهذا المسجد كان على الاحزاب في غزوة الخندق ·· ولما فتح الله به على المسلمين من تفرق الاحزاب وعودتهم ،سمى المسجد بمسجد الفتح ·

ومما يحسن بنا الأشارة اليه المساجد الخمسة الموجودة بجنوب مسجد الفتح · ففيها يقول السمهودي : « وما ذكره المطريّ من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان[1] وعلي رضي الله عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذي ذكر المطري أنه لم يبق له أثر : مسجد أبي بكر رضي الله عنه ··· ولم أقف في ذلك كله على أصل » اه ·

(١) مسجد سلمان اقرب المساجد الى مسجد الفتح ، وفي اعلى محرابه لليوم حجر المسنّ الذي نوه به السمهودي وقال ان فيه تاريخ عمارة ابن ابي الهيجاء له عام ٥٧٧ هـ · وهذا يدل عَلَيَ انه باق على بناية الحسين المذكور له · وفي الحق إن شكل بنائه يُخالف ماعداه من هذه المساجد بما فيها مسجد الفتح ·· فكلها مقببة اما هو فمسنم ، ذو اعمدة قوية قصيرة ، منظرها يشهد بقدم بنائه وقوته ·

وتسمى النخيل الواقعة شمال مسجد الفتح قديماً بالسيحي أو السيح

عماراته :— كيفية عمارته الأولى غامضة ، ونرجح أنها كانت بالحجارة واللبن والجريد ، وقد جدده الحسين بن أبي الهيجاء عام ٥٧٥ هـ . وجددته الدولة العثمانية بعد ذلك بدليل أن حجر المسن المرسوم عليه تجديد ابن أبي الهيجاء له الواقع بأعلى قبته على ماذكره السمهودي ، غير موجود اليوم .

ويبعد مسجد الفتح عن باب البرابيخ بالمدينة نحو ٢٠ دقيقة . وطريقه الأقرب منها ، يبتدئ من هذا الباب — فمجرى بطحان — فالمسجد .

[٦]

مسجد ذباب

ذباب ، أو ذو باب — الجبل الصغير الأسود الذي يواجهك حينما تهبط من ثنية الوداع قاصداً جبل أُحد ، على يسار طريق أُحد والمسجد الذي فوق هذا الجبل مأثور .. روى السمهودي عن ابن شبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى في موضعه .. وقد ضرب الرسول قبة تركية على هذا الجبل في غزوة الخندق .

كان هذا المسجد مبنيًّا بالحجارة المطابقة في القرن الثامن . وحالته كذلك اليوم . وهو مجصص ظاهراً وباطناً ، وطوله ٤ أمتار في عرض ٤ وارتفاعه ٦ وقبته متقنة البناء والتجويف .

[٧]

مسجد القبلتين

موقعه ووصفه . نبذة من تاريخه .
مسافة بعده عن المدينة وطريقه منها

موقعه ووصفه :— مسجد القبلتين على هضبة مرتفعة ، من حرة الوبرة ، في طرفها الشمالي الغربي ، بالنسبة للمدينة ، وهو يشرف على عرصتي وادي العقيق : الصغرى والكبرى .

والمسجد في هيئته الحاضرة منقسم الى شطرين : داخلي وخارجي .. وفي الداخلي محراب متجه الى الكعبة ، وفي الخارجي محراب متجه نحو الشام ؛ والداخلي مقبب طوله ٩ أمتار و ٢٠ سنتمتراً ، وعرضه ٤ أمتار و ٥٠ سنتمتراً ، وارتفاعه نحو ٤ أمتار ونصف متر . وكلا القسمين مبني بالحجارة المنحوتة والجص ، داخلاً وخارجاً ، مما يدلنا على أنه من آثار بني عثمان .

نبذة من تاريخه :— صلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد الى بيت المقدس ، وفيه أُمِر بالتحول الى الكعبة ، وقد كان هذا التحول مظهر استقلال عظيم للمسلمين ، أشعل في قلوب اليهود ناراً حامية من الحقد الدفين ، والحسد الكمين . فتقاولوا

فيما بينهم : « ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » .. فرد عليهم العليم الحكيم بقوله : « قل لله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » .

هذا ولما ذكرناه من تحول القبلة في هذا المسجد ، سمي بمسجد القبلتين ، وهو اسم لا يزال يحمله الى اليوم .

ويظهر من قول صاحب وفاء الوفا : ان الرسول لما استدار الى الكعبة فيه استقبل الميزاب ان المسجد كان مبنياً مسقفاً في ذلك الحين ، لان الميزاب لا يكون الا في الابنية ذات السقوف ولا نعلم عن تجديداته شيئاً بعد ذلك سوى ان شاهين الجمالي عمره سنة ٨٩٣هـ ويحتمل ان بناءه بقي حتى جاء السلطان سليمان فجدده عام ٩٥٠هـ . ولا يزال بناؤه باقياً الى اليوم كما هو منقوش على الحجر الرخامي الموضوع فوق مدخل المسجد .

مسافة بعده عن المدينة وطريقه منها : — يبعد عن المدينة نحو ٤٠ دقيقة ، وله طريقان منها ، احدهما ، وهو الاقرب ، يبتدئ من باب البرابيخ ، فغربي سفح سلع ، فالحرة الغربية فالمسجد . والطريق الثاني يبتدئ من الباب الشامي — فشرقي سلع — فغربي سفحه الشمالي فطريق بئر رومه — فميل الى الجنوب بغرب — فالمسجد .

[٨]

مسجد بني ظفر

موقعه ووصفه . حجر الرخام به . جهته بالنسبة للمدينة ومسافة بعده عنها ، وطريقه منها . نبذة من تاريخه .

موقعه ووصفه : — هذا المسجد مأثور ، واطلاله باقية الى اليوم ، ويقع بطرف حرة واقم (الحرة الشرقية) فوق هضبة ، طوله ٣ امتار و ٧٠ سنتمتراً في عرض ٧٠٩٣

حجر الرخام الذي به : — ومن محاسن المصادفات مـا اورده السمهودي من انه رأى حجر رخام عن يمين محراب المسجد ، منقوشاً عليه ما صورته : « خلد الله ملك الامام ابي جعفر المستنصر بالله امير المؤمنين عمر سنة ثلاثين وستماية » اه .. فان هذا الحجر نفسه قد رأيته انا أيضاً ، ولـكنه ليس على يمين محرابه ، بل مدمج في حجارة بنايته ، وهذا يؤكد لنا ان المسجد عمر بعد عمارة المستنصر له .

جهته بالنسبة للمدينة وبعده عنها وطريقه منها : = سبق ان ذكرنا انه يقع بطرف حرة واقم ، فهو اذاً في شرق المدينـة ، ويبعد عنها اعتباراً من باب الجمعة (باب البقيع) نحو ١٥ دقيقة

اما ظريقه منها ، فمن هذا الباب فضريح فاطمة بنت اسد ، فبستان معاوية ، فعرصته . بعده يتجه السالك فيها نحو الجهة الشرقية بجنوب — فالمسجد .

نبذة من تاريخه : — روى السمهودي عن الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم اتى بني ظفر في مسجدهم هذا فجلس على الصخرة التي فيه اليوم (يومئذ) ومعه بعض الصحابة وامر قارئاً فقرأ حتى اتى على هذه الآية : « فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » فبكى الرسول حتى اضطرب لحياه ، فقال : أي رب ! شهيد على من انا بين ظهرانيه ، فكيف بمن لم أر ؟ .



[٩]

مسجد السقيا

هذا المسجد بقرب بئر السقيا ، بطرف حرة الوبرة الموالي للمدينة . وفيه يقول صاحب مرآة الحرمين : « مسجد السقيا = السقيا بئر بحرة المدينة الغربية ، وهذا المسجد عندها ومكانه الآن قبة شهيرة تسمى بقبة الروس (١) عند باب العنبرية » اهـ .
والتحقيق ان مسجد السقيا ، او قبة الروس ، بداخل بناية محطة السكة الحديدية ، في جنوب هذه البناية والبئر بجنوبها ، ويفصل بينهما طريق مكة .

وقد صلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بموضع هذا المسجد ، ودعا فيه بالبركة لاهل المدينة وفيه نطق بان المدينة حرم كحرم مكة .

وقد كان هذا المسجد مندرساً غير معروف حتي اكتشفه السمهودي اذ وجده على بنايته العمرية القديمة ، فاعيد بناؤه من جديد : ثم اندرس بعد ذلك ، وبنيت بموضعه قبة الروس

---

(١) دفن بها بعض قتلى الاعراب ، في عهد حكومة الاتراك . ويراها الانسان بعد ان يخرج من باب العنبرية الى طريق مكة بداخل محطة السكة الحديدية .

[١٠]

مسجد الاجابة

او مسجد بني معاوية

يقع هذا المسجد في ضاحية المدينة الشرقية ، شمالي البقيع ، في وسط العرصة المقابلة (شمالاً) لبستان السمان ، والمسجد مرتفع عما حواليه ، وهو اليوم خرب ، وامامه بئر ذات درج ، وهي اليوم يابسة .

والمسجد مبني بالحجارة وبالجير على صفة بنايات الدولة العثمانية ، وطوله ١٠ امتار في عرض ٨ ، وفيه محراب ، وكان ذا قبة . ويفهم من قول ابن النجار انه يعرف بمسجد الاجابة : أنّ هذا الاسم حادث له . اما اسمه الاصلي الوارد فى الحديث فهو مسجد بني معاوية . وبنو معاوية من الاوس .

فى صحيح مسلم ما ملخصه : ان النبي دعا ربه فى هذا المسجد وطلبه ثلاثًا فاجاب دعوتين هما : عدم اهلاك امته بالغرق ، ولا بالسَنة ، ومنعه الثالثة وهي : ان لا يجعل بأسهم بينهم قال السمهودي عقب ايراده للحديث المشار اليه : « فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الاجابة » .

وقد ذكر السمهودي انه يقع «على يسار السالك الى العريض وسط تلول هي آثار قرية بني معاوية» اهـ .

وهذان الوصفان منطبقان تماماً على المسجد القائم بوسط العرصة المذكورة آنفاً ، فهو واقع وسط تلول تكتنفه من نواحيه الشمالية والجنوبية والغربية .. اما الشرقية فيها الطريق السالكة الى العريض .

[١١]

مسجد البحير ، او مسجد السجدة

وضعت هذا الاسم للمسجد الآتي وصفه ، تعريفاً له ، لأنه مأثور على مانص عليه المطري والسمهودي ·

مسجد البحير صغير جداً ، وهو على صغره مربع ، فطوله ٤ أمتار في عرض ٤ ، وارتفاع جدره متر واحد ، وهو مبني بالحجارة المنحوتة والغير منحوتة ، وهو مكشوف ، ويقول السمهودي إنه : « عند النخيل المعروفة بالبحير » · أما تحرير موقعه بالنظر للحالة الحاضرة فهو أنه في وسط العرصة الكائنة بين البستان المعروف اليوم بالبحيري وبين البساتين المعروفة بالصدقة ، ويكتنفه من الجنوب والشمال طريقان موصلان الى العريض ·

وبستان البحيري المشار اليه آنفاً يقع في غرب هذا المسجد ، وبينهما نحو ثلاث دقائق ، وقد روى البيهقيُّ في شعب الإيمان حديثاً ، فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، صلى ركعتين في موضع هذا المسجد ، وسجد فيه سجدة طويلة جداً ؛ وملاحظة لهذه السجدة الطويلة أطلقنا عليه اسم مسجد السجدة ·

[١٢]

مسجد الفضيخ ، او مسجد الشمس

وصفه وموقعه • طريقه • نبذة من تاريخه

يقع هذا المسجد في شرق قرية العوالي ، قريباً من الحرة الشرقية ، وهو لا يزال معروفاً بهذا الاسم بين أهل هذه القرية ، وبناؤه متين مرتفع ، وطول المسقف منه ١٩ متراً في عرض ٤ وله ٥ قباب ومحراب لا بأس به ، بجانبه منبر ذو درجتين مكون من حجارة وطين حلو ، وللمسجد شرفات ، وبناؤه بالحجارة المطابقة وبالجص ، وشكل هذه البناية ناطق بأنها من آثار بني عثمان ٠

ولارتفاع موقع المسجد وطلوع الشمس عليه لأول شروقها ، سمي بمسجد الشمس ٠

أما سبب تسميته بمسجد الفضيخ فلاهراق سقاء الفضيخ (خمر التمر) به حين بلغ أبا ايوب في نفر من الأنصار خبر تحريم الخمر ٠

ومسجد الفضيخ مأثور لصلاة النبي صلى الله عليه وسلم بموضعه ست ليال في أثناء حصاره لبني النضير ٠

والطريق الموصل اليه من المدينة :— طريق العوالي — فزقاق مشرق — فالتواء الى ناحية الشمال الشرقي — فالمسجد ٠

قِسْمُ البَلاَطَاتِ

البلاطات

تمهيد : —

البلاط لغة : الأرض المفروشة بالحجارة .. وقد بُلِّطَتْ أربع الجهات المتصلة بالمسجد النبوي في زمن أمارة مروان بن الحكم لمعاوية على المدينة .. وهذه البلاطات ذات فوائد هامة .. فهي تصد عادية الامطار عن المسجد النبوي ، وتحجبه عن الغبار ، وفيها علاوة على ذلك مظهر من مظاهر التمدن ، وكان المأمول أن يعم البلاط نواحي المدينة وشوارعها بعد ذلك تمشياً مع سنن العمران ومقتضيات الحضارة ؛ ولكن المشروع وقف عند الحد الذي رسمه مروان ، حتى جاء رضا باشا الركابي محافظاً للمدينة عام ١٣٢٧ هـ فازمع على تبليط رصيفين في شارع العنبرية . وبالفعل بلَّط منهما قسماً هاماً .. وحال عَزْلُه دون اكمال مرامه .

وبودنا لو اهتمت بلدية المدينة باتمام هذا البلاط وغَرْسِ الاشجار باطرافه ، إذاً لكانت سجلت لنفسها حسنة عظيمة في تاريخ عمران المدينة وتنظيمها ، خصوصاً وأن هذا الشارع هو الذي يسلكه الزوار قبل كل شيءٍ .

كذلك قام البوقري بتبليط العرصة الواقعة امام مركز لجنة العين الزرقاء وذهب به الى نصف شارع العيني ، فلو أتمه أو أتمته البلدية لكان له أو لها مفخرة ؛ خصوصاً وأن هذا الشارع سيؤل اليه العمل ان قريباً أو بعيداً ، وهو فضلاً عن هذا متصل بالمسجد النبوي .

وفيما يلي وصف البلاطات الثلاثة القديمة :—

[١]

البلاط الشرقي

هذا البلاط أنشأه مروان بن الحكم بأمر معاوية بن أبي سفيان ، وهو ذو شعبتين : جنوبية وشمالية . وتمتـد الجنوبية من طرف المسجد النبوي داخلة في زقاق الحبشة ، وتنتهي عند العطفة الكائنة بعـد القسم الشرقيّ من دار عثمان الكبرى ، المتخذ اليوم داراً لمشيخة الحرم النبوى ، وتمتد الشعبة الشمالية من باب النساء وتذهب مشرقة في زقاق البقيع المعروف بطريق البقيع ، وطريق الحارة ، وتنتهي عند العطفة التى بعد رباط سيدنا عثمان الواقع في موضع داره الصغرى .

هذا الوصف وهذا التحديد قد أوردهما السمهودي لهذا البلاط .. ونحن بأدنى تتبع : ندرك أنهما مطابقان لهيئة البلاط المبحوث عنه ، فهل والحالة هذه ، أن هذا البلاط هوعين السابق استطاع الخلود مدى ثلاثة عشر قرناً بفضل جودة وضعه ، ثم بما يعمل فيه من اصلاحات؟ أم هو بلاط جديد وضع فوق القديم الذي صار مكبوساً تحته ؟

رأينا يميل الى تأييد الشطر الاول ، لما يأتي :—

١ — إن حجارته متآكلة ، يبدو على هيا كلها القدم .

٢ – إن مجاري العين الزرقاء ، وهي من آثار ذلك العهد ما تزال موجودة خالدة بفضل الاصلاحات والترميمات .

٣ – إن في استثناء السمهودي لما حول المسجد النبوي من البلاط ، من الانطمار بالكبس – لدليلاً على كون هذا البلاط هو القديم

٤ – لما هو ملاحظ اجمالياً من قدم عمارات وشوارع وأبنية حارة الأغوات التي فيها هذا البلاط ولما هو مشاهد من انخفاضه حتى عن بقية شوارع الحارة وأزقتها – يتأكد لدينا قدمه وأنه هو بلاط مروان بن الحكم .

[٢]

البلاط الشمالي

بعد اجهاد القريحة فهمت من عبارات وفاء الوفا المضطربة : أن البلاط الشمالي الذي أنشأه مروان حول ناحيـة من نواحي المسجد ، هو هذا البلاط الممتد من خارج باب الرحمة ، الواقع فيما بين جدار المسجد النبوي وبين الدور التي بجانبه الغربي .. وينتهي هذا البلاط عند حد زاوية المسجد الشمالية ، وبطرفه كان يقع أطم حسان بن ثابت الأنصاري (فارع) الذي يقول فيه :–

أرقت لتوماض البروق اللوامع ونحن نشاوى بين سَلع وفارع

وبجانب البلاط كذلك الدار المعروفة من قديم بدار تميم الداري ، وعن تسميتها بهذا الاسم يقول السمهودي : « ولم أقف على أصل تسميتها بذلك » وهي الآن مهدومة العلو ، وعلى ما بقي منها حجر منقوش فيه : « هذا بيت سيدنا تميم الداري رضي الله عنه سنة ١٢٨٠ » .

ومما يحسن ايراده ان هذه الدار كانت سكن السيد عبد الله السمهودي مؤرخ المدينة في القرن التاسع الهجري ، وكانت آلت الى ملكه على ما أفاد ؛ وقد حدثنا بأنها كانت في الأصل قسماً من دار سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم .

وكذلك البلاط الممتد من طرف زاوية المسجد النبوي الشمالية والمار من الباب المجيدي والمنعطف بعدئذ الى جهة باب النساء هو قديم انشاه مروان على ماذكره ابن شبة ، وقد كان موجوداً في أواخر القرن السادس حيث يقول ابن جبير في رحلته : « المسجد المبارك مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به » .

والبلاط الممتد من باب الرحمة الذاهب الى الغرب والمنعطف الى محلة الساحة قديم أيضاً ، وقد ذكر السمهودي أنه كان ممتداً في زمنه الى ضريح مالك بن سنان رضي الله عنه . أما اليوم فينتهي الى حوش الجمل وكأن الباقي علاه الكبس ، أو اقتلعت حجارته لأسباب مجهولة .

[٣]

البلاط الاعظم بسوق الحدرة

يرجع تاريخ تبليط هذا الطريق الى عهد أمارة مروان أيضاً ويبتدئ بلاطه من باب السلام فاذا حاذي منهـل العين الزرقاء بغرب هذا الباب انقسم الى شعبتين : شعبة تنعطف الى الشمال حتى تتصل ببلاط باب الرحمة — الساحة ، والشعبة الثانية تذهب ، من جنوبي المنهـل المذكور الى الغرب رأساً ، مصعدة من تعاريج بسيطة حتى تنتهي عند الباب المصري الذي هو (على ما نرى) باب سويقة الموصل الى باب مصلى الأعياد (المناخة) . وإذاً فكما أصاب هذا الباب تجديد في البناء ، اصاب تجديد في الاسم .. كان المحمل المصري يدخل منه فجدد له الناس إذ داك هذا الاسم جرياً على المعتاد من نسبة الأمـكنة الى ماله علاقة بهـا قوية بارزة حديثة[1] .

وكان هذا البلاط (على ما يفهم من فحوى أقوال المؤرخين)

---

(١) من هذا القبيل ما رواه السمهودي من ان مروان لما عزم على تبليط بقيع الزبير ضمن بلاطات اطراف المسجد النبوي منعه الزبير وقال : « تريد ان تنسخ اسم الزبير ويقال بلاط معاوية » .

عبارة عن طريق يمر منها الناس الى سوق المدينة بالمناخة، ولا ندري متى جعلت فيه هذه السوق المسماة بسوق الحدرة، وسوق باب السلام؟

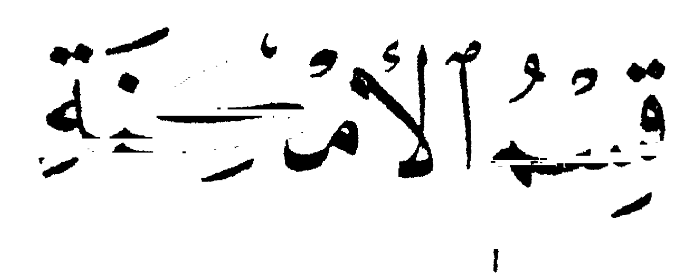
ويمنتصف هذا البلاط، مقعد بني حسين ويعرف قديماً بمقعد الاشراف، أما دورهم فقد كانت بمحلة الساحة.

ويجنوب هذا البلاط زقاق يوصل الى المكان المقول بكونه سقيفة بني ساعدة، ويوصل اليه أيضاً زقاق مقعد بنى حسين نفسه

وكانت تطيف بالبلاط الأعظم دور كثير من الصحابة، كداري سعد بن أبي وقاص، ودار عثمان بن عفان، ودار أبي هريرة، رضي الله عنهم.

وفيه يقول السمهودي: «وقد علا الكبس على كثير من البلاط، ولم يبق ظاهراً منه الا ما حول المسجد النبوي وشيء من جهة بيوت الاشراف ولاة المدينة» اه

إذاً فهذا البلاط مستحدث بعد ذلك.



الامكنة

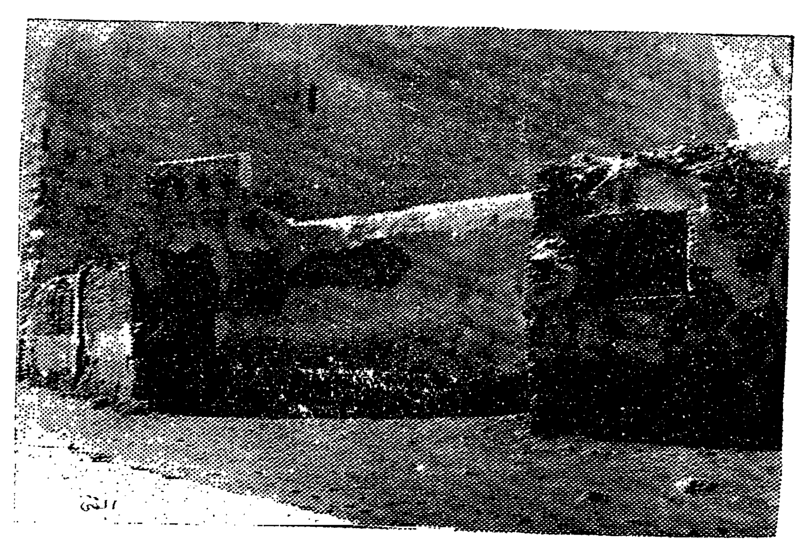
تمهيد :—

أتينا في هذا القسم ، بتفرقة الأمكنة الأثرية وابتدأنا بسقيفة بني ساعدة ، لأهميتها الدينية والتاريخية معاً :—

[ا]

سقيفة بني ساعدة

لا نعلم متى بنيت هذه السقيفة ، وغاية علمنا عنها أنهـا لبني ساعدة ، وأن النبي جلس فيها ، وأن بيعة أبي بكر بالخلافة كانت فيها .



سقيفة بني ساعدة

وقد اختلف في موضعها .. فمن المؤرخين من يقول : أنهـا بداخل المدينة جنوبي مقعد بني حسين ، ومنهم من يرى انها بخارج

سور المدينة قريباً من بئر بضاعة ٠٠ اختلاف قديم جرى في جوهر أثر تاريخي هام ٠

وشايع السمهودي ، أولاً ، رأي القائلين بأنها داخل المدينة جنوبي مقعد بني حسين ، ثم رجع عن هذا الرأي جازماً بأنها قرب بئر بضاعة ٠

ونرى ان رأي السمهودي الاخير هو الصواب للنقاط الآتيه :—

١ — انه ثقة وعالم ومطلع ومشاهد

٢ — كان رجوعه الى هذا الرأي بناءً على دليل علمي قوي أدلى به في الجزء الثاني من وفاء الوفاص ٦١ ٠

٣ — تصريح المطري بكون السقيفة بقرب بئر بضاعة ٠

٤ — يوجد بخارج الباب الشامي في الطريق المعروف بالسحيمي المتجه شرقاً من الباب الشامي الى باب بصري خارج السور وملاصقاً له بناءٌ ذو شرفات مكشوف مجصص وبابه مسدود وبجانبه قبة صغيرة تعرف بشيخ النمل ، والمشهور عن هذا البناء انه هو سقيفة بني ساعدة وبنايته الحالية من آثار علي باشا سنة ١٠٣٠ ﻫ ويؤيد انه السقيفة قربه من بئر بضاعة

[٣]

الخندق

مستفيض في الكتب ذكر قصة احتفار النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه لهذا الخندق الحربيّ عام الاحزاب ؛ وقد كان حفره من شمال المدينة الشرقي ، الى غربيها ، وكان حدُّه الشرقي طرفَ حرة واقم ، وحدهُ الغربيُّ ، غربيّ وادي بطحان حيث ظرف الحرة الغربية (حرة الوبرة) ٠

وعلى هذا فالخندق على ما نتخيل ، كان يشكل شبه نصف دائرة ، طرفها الغربيُّ يقع غربيّ مسجد المصلى ، والشرقي عند مبتداء حرة واقم ، في الشمال الشرقيّ ٠

والخندق مطمور اليوم ، فلا يعرف موضعه بالتحقيق ؛ ولأنه من اهم الآثار الاسلامية بهذه البلدة عزمت على اكتشافه علمياً وعملياً ٠٠ واخيراً عثرت على نص صريح من عالم مدنيّ قديم مشاهد ، اقنعني بضرورة العدول عن محاولة اكتشافه لتعذره ٠٠ قال المطري :

« وقد عفا اثر الخندق اليوم (القرن الثامن الهجريّ) ولم يبق منه شيءٌ يعرف الا ناحيته لأن الوادي وادي بطحان استولى على موضع الخندق ، وصار مسيله في الخندق » اﻫ ٠ وترى رسمه التقريبيّ المستند على المعلومات التاريخية بصدده ، في خريطة المدينة الاثرية ٠

[٣]

ثنية الوداع

الثنية في اللغة : الطريق في الجبل .. وقد اختلف في حقيقة المسمى بثنية الوداع حتى وصل بالبعض الى ان صرحوا بانها بمكة[١] .. وانقسم الذين يرون انها بالمدينة الى فريقين : فريق يقول انها المدرج الذي ينزل منه الى بئر عروة بجنوب غرب المدينة ، وفريق يقول انها : « المعروفة بذلك في شامي المدينة بين مسجد الراية الذي على ذباب ، ومشهد النفس الزكية ، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع »[٢] — وبهذا الرأي جزم السمهودي ، وقد حاول تفنيد كل رأي خلافه .. على انا نقول : اما اثباته أن هذه الثنية التي بين هضبتي سلع ، هي ثنية الوداع فذلك ما لا نعارضه فيه ، لانه مقبول ومعقول ، وعليه دلائل علمية متوفرة ، غير ان محاولة ادحاضه وانكاره لتسمية المدرج بثنية الوداع فيه ما فيه ، خصوصاً وقد تضافرت تصريحات جماعة من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً على تسميته

(١) لسان العرب ج ١٠ ص ٢٦٧ . (٢) جاء في تعليقات المرحوم الشيخ ابراهيم فقيه مانصه : تنية الوداع هي الموضع الذي عليه القرين ويقال له اليوم « القرين التحتاني » ويقال له ايضاً كشك يوسف باشا . ويوسف باشا هو الذي نقر الثنية ومهد طريقها في حدود سنة ١١١٤ هـ » اهـ .

بثنية الوداع ايضاً .. فكما ان اهل المدينة كانوا يودعون المسافر الى ناحية الشام من الثنية التي بطريق الشام ، فكذلك لهم ان يودعوا المسافر الى جهة مكة من الثنية بطريق مكة . ويحق لكل من الثنيتين بهذا النظران نسمى ثنية الوداع ، لقيام المعنى بكل منهما ، واشتراكهما فيه ، فكلتاهما مركز للتوديع (١)

هذا وان على الصد (الهضبة) التي بشرقي ثنية الوداع الشامية ، ثكنة عسكرية اليوم ، وهي التي اشار اليها الشيخ ابراهيم فقيه ، واما صداها الغربي فخال ، وانما هو مرتاد للمتنزهين في ساعات الاصائل الجميلة ، لاحتجاب الشمس في هذه الاوقات من وراء سلع من جهة ، ولاشراف هذا الموقع على المدينة واكثر ضواحيها وبساتينها وجبالها النائية والقريبة من جهة اخرى .

اما ثنية الوداع التي في طريق مكة فتشرف على وادي العقيق ، وتحيط بها الحرة من كل جانب .

واحدى الثنيتين ، هي التي عناها الولائد في نشيدهن الابتهاجي بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة : —

طلع البدر علينا　　من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　ما دعا لله داع

---

(١) يوافقنا العباسي في تاريخه للمدينة على هذا الرأي .

والدلائل القوية التي ساقها السمهودي تجعلنا نرجح ان المقصودة هي الثنية الشامية .

ومن الطرائف ما ذكره صاحب مرآة الحرمين من ان ذوات الخدُور انشدن عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم هذين البيتين : —

أشرق البدر علينـا واختفت منه البدور
مثل حسنكْ ما رأينا قط يا وجه السرور (١)

فهل خفي على ابراهيم باشا رفعت ما يحمله هذان البيتان من اثقال الركاكة العامية ، فنسبها الى عصرٍ كانت تفيض فيه اللغة والشعر بالفصاحة السليقية ذات البهجة والروعة والرواء ؟ ام انه اوردهما اعتماداً على رواية ملفقة ؟ اللهم لا ندري ايّ ذلك كان !! وعلى كل فالبيتان المذكوران ليسا من منطوق ذلك العهد الزاهر بتاتاً .

---

(١) مرآة الحرمين ج ١ ص ٤٦

[٦]

سوق المدينة ، او المناخة

في وفاء الوفا : « عن عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل للمدينة سوقاً ، اتى سوق بني قينقاع ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال : هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج » .[1]

والسوق المشار اليها تسمى بالمناخة ، وهي عبارة عن فضاء واسع مستطيل بناحية المدينة الغربية ، تبتدئ حدودها الاصلية من مسجد المصلى الى قلعة الباب الشامي . وتجد رسمها بالخريطة الاثرية.

وفيها اليوم حوانيت اغلبها مبنيّ بالحجارة والطوب والنورة ، ولها تقدمات ، وشوارعها منظمة بالنسبة لما كانت عليه في زمن دولتي بني عثمان والاشراف ، حيث كانت في عهد الاولى ضيقة معوجة متداخلة . وفي الحرب العامة هدمها فخري باشا ، لا ندري لاي غرض ؟ فجاءت الحكومة الهاشمية فبنت طيها اكواخاً قوامها صفائح التنك ، وظلت على هذه البناية حتى اوائل عهد الحكومة السعودية فاعيدت الى ذويها وبنيت بالشكل الحاليّ . وبهذه السوق اهم المأكولات والمجلوبات من البادية والمبيعات .

وبالمناخة عمارة البلدية ، والشرطة ، وقيادة الهجانة .

---

(١) وفاء الوفا ج ١ ص ٥٣٩

[٥]

النقا وحاجر

موضعان طالما تغنى بهما الشعراء ، وهما متجاوران متلاصقان ، وكلاهما في ناحية المدينة الغربية .

يبتدئ النقا من الشاطئ الغربي لمسيل بطحان المعروف اليوم بابي جيدة ، ويذهب النقا مغربا حتى ينتهي عند بئر السقيا الواقعة جنوب محطة السكة الحديدية ، ومن بئر السقيا (حذاء قبة الروس) يبتدئ حاجر الى نهاية حرة الوبرة غرباً .

ومن الممكن ان الاصل في تسمية البقعة الاولى بالنقا : نقاوة هوائها وصفاء تربتها من المكدرات كما انه من المحتمل ان يكون منشأ تسمية الثانية بحاجر : ملاحظة ما فيها من الحجارة .

والنقا اليوم معمور بالدور الانيقة ، والقصور الفخمة ، وناهيك ببناية محطة السكة الحديدية العظيمة ذات الاعمدة الرشيقة ، والعقود البديعة ، والاماكن المسنمة المبنية على الطراز الحديث . وامام هذه البناية ، في الجنوب الشرقي ، مسجد فخم ذو قبة شامخة ، ومئذنتين شاهقتين ، احتمى عن العين بانحرافه عن القبلة قليلاً ، وبشرقي هذا

المسجد الثكنة العسكرية العظيمة الرحيبة ، وقدامها التكية المصرية ، ذات البناء الجيد الفخم والمنظر الجميل ، والرحبة الواسعة ، وهناك دور آل جعفر وسوى دور آل جعفر .

ويشق هذه العمارات الى المحطة ، شارع واسع ، من اجمل شوارع المدينة واطولها واعرضها ، ولو نال حظاً من العناية ، فأُكمل رصيفاه ، وغرست بجوانبه الاشجار ، ورصف بالحجارة المنحوتة ، او كبس بهذا الرمل الاحمر ، لجاء آية فى الجمال ، ولَمثل للجيل الحاضر ذكريات النقا الماضية حقيقيها وخيالها اروع تمثيل .

ولا غرو ان يستثير منظر النقا وحاجر أُخيلة الشعراء فهواؤهما عليل ، وجوهما لطيف . وإن الانسان ليشعر فيهما بنشاط روحيّ ، وابتهاج قلبيّ ، ويتلمس باعثاً لذلك ، فلا يجده الاجمالهما الطّبعيّ الجذاب .



[٦]

المنحنى

كنت اقول في نفسي : اذا كان ما بغربيّ وادي بطحان يسمى بالنقا ، فبماذا يسمى ما بشفيره الشرقيّ الى مسجد المصلى ؟ كنت اورد هذا السؤال على نفسي فلا اجد له جواباً ؛ حتى عثرت عفواً . واقول : عفواً لان هذا القول هو عين الحقيقة ، فقد عثرت في وفاء الوفا على ان ما بشرقيّ وادي بطحان الى مسجد المصلى يسمى بالمنحنى . وقد اورد السمهودي شاهداً ، او مثالاً على ذلك في بيتين للشيخ شمس الدين الذهبي هما : —

تولى شبابي كأن لم يكن   واقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا   فما بعد هذين الا المصلىّ

وأضخم العمارات القائمة بالمنحنى اليوم : دار الحكومة ودار الخريجي التي نكتب هذا والعمارة جارية فيها .

[٧]

سور المدينة

يبتدئ تحصين المدينة الحربي من حادثة احتفار الخندق في غزوة الاحزاب . اما تسويرها فمن سنة ٢٦٣ هـ حيث بنى محمد الجعدي عليها سوراً في ذلك الوقت ، وقد جدده جمال الدين الاصفهاني عام ٥٤٠ هـ ، فالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي عام ٥٥٨ هـ فبعض ملوك الاسلام سنة ٧٥٥ هـ ، وفي القرن التاسع أيضاً . وفي عام ٩٤٦ هـ بنى السلطان سليمان العثماني سورها الموجود اليوم ، وبناؤه بالحجارة والجص ، وهو محكم البناء للغاية ، سميك للنهاية شامخ جداً ؛ وله الآن من الأبواب : الباب المصري . الباب الشامي . باب قباء . باب بصرى . الباب المجيدي . باب الجمعة . باب الحمام . الباب الجديد . أما الباب الصغير فقد هدمه فخري باشا مع ما حوله من السور في ابان الحرب العالمية .

[٨]

البقيع

البقيع في اللغة : الموضع الذي به اصول الشجر المختلفة ·
والبقيع هو مقبرة المدينة الوحيدة منذ عصر الرسالة الى اليوم · وفيه ما يقرب من عشرة آلاف صحابيّ ، وفيه من التابعين نافع شيخ الامام مالك ومن تابعي التابعين مالك ·

والبقيع عبارة عن بقعة مستطيلة بشرق المدينة خارج سورها قريباً من باب الجمعة وطولها ١٥٠ متراً في عرض ١٠٠ وهو مسور من جميع النواحي ، وعلى بابه كتابة تدل على أنّ هذا التسوير من آثار دولة بني عثمان ·



[٩]

يثرب

يثرب اسم كان يطلق في الجاهلية على عموم المدينة ، ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين « يا اهل يثرب لا مُقام لكم » على ان حقيقة المسمى به هو احدى قرى المدينة واكبرها وعن ابن عباس ان يثرب في الاصل كان اسماً لابن عبيل الذي هو اول من نزل المدينة . وبابنه المذكور سميت البلدة يثرب .

اما (يثرب) القرية ، فتمتد على ما حكاه السمهودي من طرف وادي قناة شرقاً الى طرف الجرف غرباً ، ومن زبالة الزج جنوباً الى البساتين التي كانت تعرف بالمال شمالاً .

والشطران الاخيران من هذا التحديد ، وهما زبالة الزج والمال ، حقيقتهما مجهولة لدينا الآن . ومن باب التقريب والاستنتاج يمكننا ان نقول : ان المال هو بعض بساتين العيون في الشمال الغربي ، وان زبالة الزج هي قرية من قرى المدينة كانت بشمالي سلع الى قرب وادي قناة ، اندثرت آثارها فلم تعد معروفة ، وقلنا انها قرية ، بناءً على قول السمهودي عنها : « كان لاهلها اطام » ، وقوله : « وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التي تدعى يثرب ».

ويشاهد بجوانب البستان المعروف بخيف السيد الذي هو اول قرية او خيف العيون ، آثارُ بنايات متداعية يشاع انها اطلال مساكن اليهود الذين كانوا مقيمين بيثرب ؛ وعلى هذه الاطلال تحاك شتى الروايات والاقاصيص . وتحقيق كونها من بقايا مساكن اليهود يحتاج الى شواهد عملية ، وتلك هي اجراء التنقيبات الأثرية فيها لا سيما وقد جاء في بعض الروايات ان بني حارثة من الانصار استوطنوا يثرب بعد نزوح اليهود عنها بمدة مديدة .

[١٠]

زُغابة

في القاموس : « زُغابة بالضم موضع قرب المدينة » . اما تحرير موقعها فهو انها : « آخر العقيق غربيّ قبر حمزة رضي الله عنه » ، وتجدها مرسومة بهذا الوصف في الخريطة الاثرية .

وبزغابة كان نزول قريش في غزوة الخندق .

ويصب فيها سيل العقيق ووادي قناة ، وبطحان ؛ وبالجملة هي مجمع سيول المدينة كما هو مذكور في التواريخ ومشاهد بالعين .

[١١]

الغابة وبركة الزبير

ما كان لنا ان نغفل ذكر الغابة، وقد ذكرنا يثرب وزغابة ..

الغابة لغةً : الأرض ذات الشجر المتكاثف ، وهذا الوصف ينطبق من جميع الوجوه على الغابة التي بشماليّ المدينة ، غربيّ جبل أحد .

وقد توجهنا في ظهر يوم من ايام عام ١٣٤٩ ﻫ الى هذه الغابة بقصد الاطلاع والتنزه معاً ، وكنا ممتطين صهوة سيارة كبيرة ، فلما تجاوزنا خيف العيون متجهين الى الشمال الغربي دخلنا في ارض رملية ، ألقتنا الى ارض مسبخة ، ساخت فيها عجلات سيارتنا الكبيرة ، واشتد زفيرها ، كأنما تستغيث بنا من هول هذه الارض المغرقة ، فنزلنا عنها ودفعناها فتدافعت ، وامتطيناها فما هي الا بضع دقائق حتى عادت لسيرتها الأولى ، فتركناها في مكانها ، وقلنا لاقدامنا : تقدمي الى الامام ! حتى بلغنا حدود الغابة .. فهالنا منظرها الموحش الكئيب الذى شاهدناه من خلال سوق أشجارها وفروعها ، ودخلناها في شبه اشمئزاز .. يسوقنا حب الاطلاع ، ويحدونا حب التنزه .. أما الاطلاع فلا بأس به ، وأما التنزه فلا تنزه بهذه الأجمة المخيفة

ذات الشقوق الهائلة الغائرة في باطن الأرض التي احتفرتها السيول بقوة تيارها . وقد لاحظنا أنه بأطراف هذه الشقوق تقوم شجيرات الأثل والطرفاء القصيرة الشبيهة في شكلها الباهت الصامت بالعجائز العابسة الكالحة الوجوه .. وسرنا في الغابة متماسكين ومتقاربين، خوفاً من الضياع ، وبعد أن تعمقنا فيها قليلاً شاهدنا آثار وطئة حيوان كبير ، قال بعضنا : إنه أثر سبع ؛ وقال البعض : بل أثر نمر ، وعلى كل فهو داهية دهياء ... وما كدنا نقارب الجبل الذي بطرفها الشمالي الغربي حتى استوقفنا الدليل ، وحذرنا من تجاوز هذا الموضع قائلاً : « في ذلك المكان -- مشيراً الى موضع من الغابة — غدير لا يخلو من مـاء متكدر تحوم حوله أنواع الحيوانات ، وقد يقع فيه السائر من دون قصد فيعسر خروجه لشدة وحله » .. وعدنا أدراجنا ننفض غبرات التقزز والاشمئزاز ، حتى وصلنا سيارتنا فامتطيناها وعدنا وفي نفوسنا أثر من كآبة منظر الغابة وايحاشها ...

نقل السمهودي : « إن الزبير بن العوام كان قد اشتراها بمائة وسبعين ألفاً (لعلها دراهم) وبيعت في تركته بألف ألف وستمائة ألف»

سبحان الله ! أكان ما ذكر في هذه الغابة الموحشة المقفرة من الزرع والنبات والنخيل في هذا العصر وفيما قبل هذا العصر ؟ حقاً

إن هذه الأماكن كالبشر ، تسعد ثم تشقى ، وتشقى ثم تسعد ، ولا ندري متى تحف السعادةُ الغابة بعد هذا ؟

وبشرقيّ الغابة قريبًا من سفح أُحد الشماليّ ، بركة مربعة ، في نهاية الكبر والاتساع . وضخامة البناء وجودته ، مجصصة ظاهراً وباطنًا ، وهي مشهورة باسم بركة الزبير الى اليوم . ولعلها كانت تسقي أراضي الزبير بما فيها الغابة في عهد ازدهارها .

وطول هذه البركة ٢٤ متراً و ٧٥ سنتمتراً في عرض مثله ، وعمقها متر و ٢٥ سنتمتراً ، وسمك جدرانها ٣ أمتار و٧٥ سنتمتراً ولها ستة مصارف ، ويأتيها الماء من عين الزبير .

ومع ضخامة هذه البركة وخلودها لم يرد لها ذكر فيما اطلعت عليه من تواريخ المدينة .

[١٢]

المهراس، او المهاريس

فسل المهراس ماساكنه بين أفراس وهام كالحجل

عبدالله بن الزبعرى القرشي

«مهراس بالكسر ثم بالسكون: آخره سين مهملة : ماء بجبل أُحد قاله المبرد ، وهو معروف أقصى شعب أُحد ، يجتمع من المطر في نُقر كبار وصغار هناك ، والمهراس اسم لتلك النُّقر[١] — روي أن النبي صلى الله عليه وسلم عطش يوم أُحد فجاءه عليّ في درقته بماء من المهراس ، فوجد له ريحاً فعافه ، وغسل به الدم عن وجهه وصب على رأسه » اه — هذا ما جاء في وفاء الوفا في صدد تعريف المهراس . ونلاحظ عليـه أنهما — علاوة على المهاريس الصغيرة — مهراسان لا مهراس واحد ، أحدهما يقع بأقصى شعب أُحد من الجهة الشرقية ، وطريقه يتصل بالطريق الصاعد الى البناء

(١) ناقش السهيلي في الروض الأنف ج ٢ ص ١٥٧ هذا الراي وقال : ان المهراس يطلق على كل حجر منقور يمسك الماء ، على انا نقول : مع صحة استدراكه قد يكون هذا الاسم العام خصص لهذا المهراس الذي بأحد وصار علماً له بالغلبة كالمدينة .

المعروف اليوم بقبة هارون الواقع فوق قمة أُحد . والمهراس الثاني في الناحيـــة الغربية ، وطريقه وعر يضطر راكبه لتسلق بعض الصخور المرتفعة فيه ؛ ومن قصور تعريفات موٴرخينا القدماء تَرانا لا ندري ، أي المهراسين الذي جيء للنبي صلى الله عليه وسلم بالماء منه الشرقي أم الغربيّ ؟ كما أننا نجهل أيهما الذي عناه ابن الزبعري في بيته المار[1] .

وكلا المهراسين مقيل للمتنزهين اليوم ، لوجود الماء العذب القراح فيهما ، خصوصاً في فصل الشتاء ، لكثرة هطول الأمطار بالمدينة في هذا الفصل ، فتنساب المياه من أعالي هضاب الجبل الى هذه النقر ، فتمتلئ وتفيض ، وبذلك يتجدد ماوٴها ويصفو ، فيصبح لذة للشاربين . وإذا انقضى الشتاء ، ومكث الماء بالمهراسين طويلاً ، أو تأخر نزول المطر عن وقته ، فان ماءهما يتغير طعمه ولونه وريحه ، وتعلوه قشرة من الطحلب ، وتتولد فيه حيوانات الماء فلا يصلح للشراب .. ونستنتج من هذا ، ومما سبق ذكره من وجود النبي صلى الله عليه وسلم ، ربما بماء المهراس حين قدِّم له في غزوة أُحد :

(١) انما يصح ان نستخرج من قوله : (ماسا كنه بين افراس) أن الذي قصده هو المهراس الشرقي لأمكان وصول الخيل اليه . اما الغربيّ فمستحيل ان تصله لما في طريقه من الصخور المرتفعة التي ليس فى مقـدور الخيل صعودها مطلقاً ، لانها مُلْسٌ علاوة على ارتفاعها .

[١٤]

حارة الاغوات

وشكل ابنية المدينة في القرون الوسطى

لعل هذا أول بحث يسطر في هذا الموضوع .. يوجد بحارة الاغوات في طرف الطريق الشمالي بعد منهل العين الزرقاء ، رباط قديم ، على بابه حجر مسن منقوش فيه ما نصه :

« وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير ياقوت المظفري المنصوري الماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء تقبل الله منه وأثابه الجنة برحمته وكرمه بتاريخ سنة ست وسبعمائة » اه .

ومن هذه الكتابة فهمنا ان هذا الرباط من آثار القرن الثامن ، كما استنتجنا أن ما شاكله في هيئة البناء قرين له أو قريب .

والحارة يحدها غرباً : المسجد النبوي ، وشرقاً باب الجمعة ، وجنوباً سور المدينة الجنوبي ، وشمالاً البيوت المحاذية لطريق البقيع في طرفه الشمالي .

أبنية هذه الحارة مؤلفة من نوعين : بيوت وأربطة .. فالبيوت يعثورها التجديد والنقض والبناء بحكم الملكية . أما الأربطة فبحكم

وقفيتها على الفقراء فأكثرها يكون سالمًا من طوارئ الهدم والتجديد ، إلا في حالات استثنائية ، ولذا فليكن بحثنا فيها :—

هذه الاربطة تكون مبنية في الغالب بالحجارة والطين ، وهي ذات طبقة واحدة في الاكثر وقليلاً ما تكون ذات طبقتين .. اما ثلاث فلا ... وغالباً ما تكون نجف ابوابها ، من صخور عظيمة مستطيلة منحوتة تتصل مباشرة بالحجارة الاخرى ، فلا خشب ولا عقود . وغرفها الداخلية مضيئة منيرة في الداخل اما في الخارج فقل من [illegible] .. فلا يستطيع المرء الدخول اليها الا بعد ان [illegible] ، وقد ارتفعت ارض الشوارع والازقة عنها ، ولذا فالدخول اليها يكون نزولياً بدرج .

هذا الشكل من البناء ينير لنا عن كيفية بنايات المدينة في القرون الوسطى اشارة اجمالية لها اهميتها في موضوعنا .



[١٥]

الحفريات

أمدينة فوق المدينة

الحفريات التي شاهدتها ، والتي حدثت عنها ، تجيب في صراحة ، عن السؤال المتقدم ، بالايجاب فان اغلب بيوت المدينة الحالية وابنيتها ، تقع فوق القديمة ؛ ولا غرو ، فمن طبيعة هذه الارض ان تربو على ممر السنين فتعلو طبقتها المستجدة على القديمة .

ومما ينبغي ذكره أن الحفريات التي تجري في المدينة ليس الغرض منها البحث عن آثارها المدفونة ، كلا .. بل المرام منها وضع الأسس ، او غرس الودي ، او نحو هذا وذاك من المقاصد العادية ، التي لا رابطة بينها ، وبين مهمة التنقيب عن الآثار ، لإفادة العلم وتنوير صفحات التاريخ ...

ففي اثناء الحفريات المشار اليها ، قد يوجد مصادفة ، بعض آثار الاولين ، من الابنيـة وبقايا الاثاث . حدث في سنة ١٣٥٢ هـ انه بينما كان العمال يحفرون اساس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعيه الواقعة بقرب باب النساء ، اذ عثروا بعد عمق اربعة امتار على مصباح زيت قديم .

ومما وجده العمال ايضاً بركة صغيرة ، ومجاري مياه ، وقطعاً من قُلل الماء .

وفى عام ١٣٣٥ هـ بينما كان العمال يحفرون لوضع اساس النصب التذكاري الذي امر فخري باشا باقامته بالمناخة جنوبيّ السبيل ، تذكاراً لتولية الدولة العثمانية للشريف على حيدر ، على امارة مكة — بينما كان العمال يحفرون هناك اذ انفتحت لهم هوة كشفت عن بيوتٍ ، سقوفها تحت طبقة هذه الارض ، فنزلوا اليها ، ووجدوا بها ثياباً معلقة على حبال ، ومع بلاها فانها كانت محتفظة بهنداما ، متماسكة بحكم الرطوبة ، وعدم تخلل الهواء ، للغرَف الموجودة بها ، ولكن بمجرد لمس العمال اياها تناثرت كما يتناثر الرماد ، وتساقطت تساقطَ الاجساد المحنطة اذا مستها يدٌ .. فدمروا البيوت وشادوا عليها بناية التذكار ، وقد دُمرَتْ هي ايضاً فى عهد الحكومة الهاشمية .

وفى عام ١٣٣٣ هـ بينما كان العمال يحفرون ، لغرس الودْى في القسم الشمالي من بستان آل السيد محي الدين بالطرناوية ، اذ انفتحت أمامهم هوة واسعة عميقة متصلة بنفق واسع عالٍ ، فهبط اليها بعضهم ، وسار فى النفق ، ولاظلامه ارتعب فعاد ادراجه وصعد الى ظاهر الارض وكذلك فقد حدث منذ أعوام انه بينما كانوا يحفرون فى القسم الجنوبيّ من هذا البستان اذ انفتحت هوة وجدوا فيها فرشاً من الطوب الأحمر المربع الكبير .

وكم من حفريات غير هذه وتلك ، جرَت بالمدينة ، فعثر الحافرون في اعماقها على آثار وازيار وخلافها .

وقد لا نكون مبالغين اذا قلنا : إن كل من يحفر بداخل المدينة وخارج سورها الى حد ليس بالبعيد يجد آثار الاولين .

إذاً فقد ثبت علمياً وحسياً : أن المدينة القديمة مدفونة تحت المدينة الحديثة .

ومما يوطد مركز هذه النظرية قول السمهودي : «وقد علا الكبس على كثير من البلاط ولم يبق ظاهراً منه الا ما حول المسجد النبويّ وشيءٌ من جهة بيوت الاشراف ولاة المدينة» .

فاذا كان هذا في عصر السمهودي (القرن التاسع الهجري) فما بالك بالحال الآن وقد مر بعد ذلك العصر ما يقرب من اربعة قرون ؟ .

قسم الجبال والبحار

الجبال والحرار .

تمهيد : —

تقع المدينة في واد رحب ملتوٍ ، تحيط به الجبال والحرار ، ولما كان اغلب هذه الجبال والحرار ذات اتصال وثيق بحوادث هامة ومواقف حاسمة ، حصلت في عصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : أصبحت منذ ذلك الوقت في الذروة من تاريخ الاسلام عامة ، والمدينة خاصة ، ولذا كان لزاماً على الباحث الأثري ان يضعهما في قلب أبحاثه .

وقياماً بهذا عنينا بوصفهما فيما يلي : —

[١]

جبل أحد

« هذا جبل يحبنا ونحبه » — ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، في حق هذا الجبل . وبه حصلت أحد المشهورة سنة ٣ هـ .

اما وصفه الطبعيُّ فهو انه جبل صخريٌّ من الجرانيت ، وطوله من الشرق الى الغرب ٦ آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى .. من كثرتها يكاد الناظر اليه يتخيلها جبالاً شبه مستقلة ، او يخيل إليه أن أحداً هذا ، هو عبارة عن جبال كبار وصغار ، مرتبطة ببعضها ومن مجموعها العمومي تشكلت وحدة هذا الجبل .. ومن تلاصق هذه الجبال ، ووجود منفرجات بينها تكونت في أُحدٍ المهاريس ، التي هي نقر طبيعة لحفظ المياه المتحدرة من اعالي الجبل

ومع ان لون جبل احد احمر وفق ما حكاه مؤلف مرآة الحرمين ، فاننا قد وجدنا فيه هضبات وصخوراً وعروقاً مختلفة الألوان .. بعضها يميل الى الزرقة ، والبعض اسود اثمدي والبعض رماديُّ اللون ، والبعض اخضر .. وقد لفت نظري بوجه خاصٍ ما لاحظته في بعض عروقه بالطريق الذي صعدت منه الى قبة هارون (١) — اذ

(١) هذا البناء مشهور في المدينة وقد صعدت اليه فاذا هو عبارة عن اربعة جدر مكشوفة قصيرة بجانبها الغربي الشمالي صهريج ماء . ولعل هذا البناء هو الذي قال عنه السمهودي : « وفي اعلى جبل احد بناء اتخذه بعض الفقراء قريباً والناس يصعدون اليه » . اهـ .

شاهدت في بعض تلك العروق اشراقاً وفي بعضها اخضراراً زاهياً .

هذا وقد حدثني السيد اسعد بن السيد محيي الدين . قال : انه في اثناء صعوده مع جماعة الى المهراس الغربيّ من الجبل عام ١٣٣٠ ﻫ عثر فيما بعد هذا المهراس على حجر اثمد وزنه مثقالان فباعه اذ ذاك بخمس جنيهات مسكوفية ذهباً ، ثم في اثناء جولانه بذلك الموضع عام ١٣٥١ ﻫ وجد حجراً اثمد وزنه ٧ مثقيل ، ولا يزال موجوداً لديه . وقد جيء به اليّ فاذا هو ثقيل جداً ، يبدو له بريق ولمعان يزينه سواد ضارب الى الحمرة ، وقد روي لي ايضاً ان الحاج جلالاً البخاري قد كان عثر بقرب هذا المهراس نفسه على حجر كبير ، بكسره انفلق على تبر جيدة كبيرة ، باع منها بمبلغ ٦٠ جنيهاً افرنجياً ذهباً ، و[illegible] بقية ذلك الحجر الكريم .

وكل هذا يدل دلالة حسية ، على ما في أُحد من نفيس الجواهر والمعادن ، خصوصاً مع ملاحظة ما شاهدته من اشراق بعض الحجارة به .

ومؤرخو المدينة اعرضوا بالكلية عن مثل هذه البحوث الهامة . ولو اهتموا بها لأفادونا افادة تذكر فتشكر .

ويقع جبل أُحد في شمال المدينة . ويبعد عنها نحو ٥٠ دقيقة بالمشي السريع ؛ وفيه مسجد صغير على يمين الذاهب الى المهاريس

جزء المطري بن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال .

هذا وبالصخور التي بالعطفة الواقعة في شمال الشق المقول بانه الغار لذي اختفى فيه الرسول يوم أحد : توجد كتابات بالخط الكوفي القديم .

وكذلك بجانب العطفة الذاهبة الى المهراس الشرقي ، توجد صخور عظيمة عليها كتابات قديمة ، خطها شبيه بالسالفة الذكر ، وبرغم قدم هذه الكتابات وكثرتها لم ينوه عنها مؤرخو المدينة .

[٢]

جبل عَيْنَيْن ، او جبل رماة

جبل صغير ، يغلب على لونه الاحمرار ، يقع جنوب ضريح سيد الشهداء رضي الله عنه ويفصل بينهما وادي قناة ؛ وقد قِستُ مسافة ما بينهما فاذا هي نحو ٦٢ متراً

وفي ركن الجبل الشرقي مسجد صغير مأثور ، وهو مكشوف ، ومبني بالحجارة غير المنحوتة وبالجير ، طوله ٥ أمتار و ٩٠ سنتمتراً في عرض ٤ و ٤٠ سنتمتراً ، وارتفاع جُدره ٧٠ سنتمتراً ، وتعلو الجبل اليوم ، في كل مواقعه ، بيوت وحوانيت لبعض أهل المدينة، وكان مصرع عم الرسول في موضع المسجد المشار اليه آنفاً .. وتقول بعض الروايات ان النبي صلى عليه في هذا الموضع .

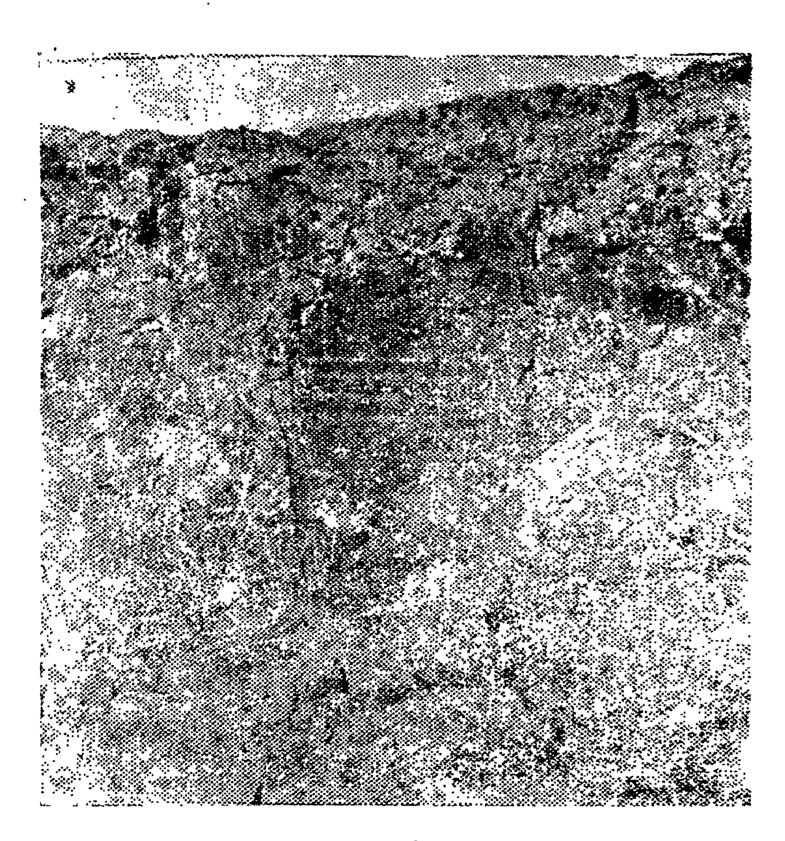
وعلى جبل عينين وضع النبي صلى الله عليه وسلم ٥٠ رامياً من أصحابه في غزوة أُحد ، وأمرهم بعدم التحرك على أية حال . ومن هذا جاءته التسمية بجبل الرماة ، وبهذا الاسم يعرف اليوم .

[٣]

جبل سلع

جبل عظيم شامخ ، في شمال المدينة ، يبعد عنها نحو ٥ دقائق وحجارة هذا الجبل سود بوجه الاجمال ، تتفتت من ضغطها باليد، ويقال إنها تحتوي مادة الاسمنت ، ولكن لم يتحقق هـذا بتجربة علمية بعدُ . وفي شرقيه دكة جلال ، نظمها شخص يدعى بهذا الاسم ، وفي سفحه الغربي كهف بني حرام الذي كان مبيت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وبشمال هذا الكهف في سفح الجبل أيضاً مسجد الفتح ، وقد سبق ذكره (في قسم المساجد) .

وفي علو سفحه الجنوبي كتابة كوفية أثرية قديمة ، نصهـا على ما رواه صاحب مرآة الحرمين : أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان الى الله من كل ما يكره .. « يقبل الله عمر . الله يعامل عمر بالمغفرة » وفي الصفحة التالية رسمها :—



دكة جلال وأمامها كتابة كوفية

[٦]

جبل سُليع

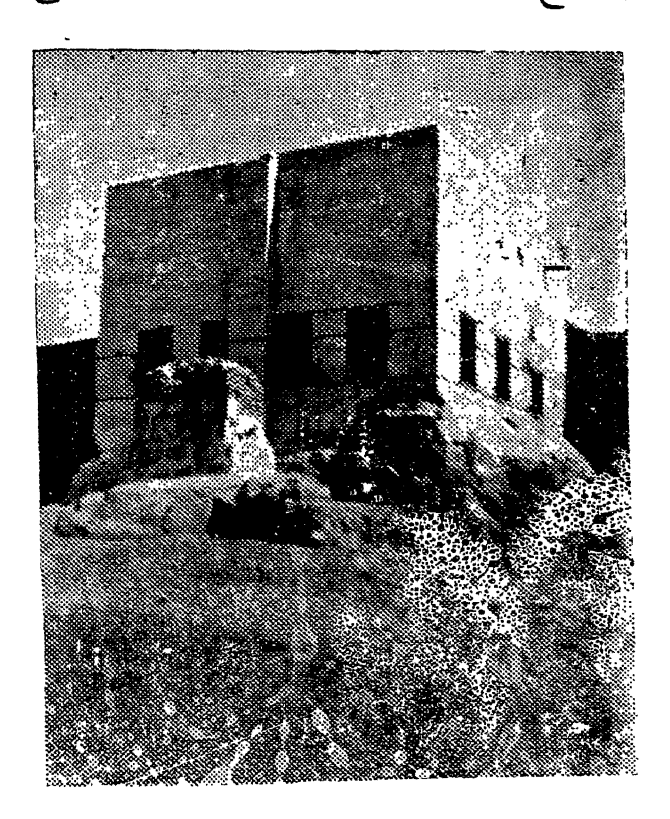
هو الجبل الصغير الذي بجنوب سلع ، وفيه كانت بيوت بني أسلم من المهاجرين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفوقه اليوم أحد أبراج قلعة الباب الشامي ، وكان عليه في القرن التاسع حصن أمير المدينة من الاشراف ، بناه الأمير ابن شيحة جدهم في القرن السابع ليتحصن به وليكشف منه ضواحي المدينة ، ويقول السيد جعفر برزنجي في « نزهة الناظرين » : إن هذا الحصن هو القلعة المعروفة عند باب السور المعروف بباب الشامي . وفي العباسي ما يفيد أن القلعة المذكورة هي في مكان الحصن ، وأنها من مبتنيات الدولة العثمانية .

ويفصل بين سُليع وهضبة بشماله ، طريق يؤدي الى الجزرة وسلع . وهذا الطريق هو المعروف قديماً بثنية عثعث .

[٥]

جبل المستندر

هو جبيل صغير يبلغ ارتفاعه نحو ٣ أمتار ، وقد أورده السمهودي وقال : إنه يقع في شرق مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامي .



جبل المستندر وفوقه السبيل والايوان

وقد قست ما بينه وبين المشهد المذكور فاذا هو نحو ٨٢ متراً .

وقد كان هذا الجبل في منازل المهاجرين من بني الديل في عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ٠

ونجزم بأنه هو هذه الهضبة الماثلة اليوم التي يقع فوقها سبيل داود باشا(١) وايوان بستانه ، نظراً لانطباق الوصف المذكور عليها ٠

ونحن لا يسعنا إلا ان نسدي لداود باشا جزيل الشكر ، إزاء عدم اكتساحه لهذا الجبيل الضئيل ، لأنه لو اقتلعه بالكلية ، وذلك سهل على مثله ، لافتقدنا هذا الأثر الذي أصبح نسياً منسياً ٠

---

(١) داود باشا هذا هو الذي خرج على الدولة العثمانية ، لما كان والياً لها على بغداد ٠ وقد عينته بعد ذلك شيخاً للحرم النبوي ، وانشأ البستان المعروف بالداودية قرب جبل سلع عام ١٢٦٥ هـ

[٦]

عَيْر وثور

اسما جبلين من جبال المدينة ؛ أولهما عظيم شامخ ، يقع بجنوب المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريباً ، وثانيهما أحمر صغير ، يقع شمال أحد .

ويحدان حرم المدينة جنوباً وشمالاً . وقد صعدت الى اعلى جبل عير في أحد شهور سنة ١٣٤٧ هـ فإذا هو منبسط فسيح ، رد تخفق فيه الريح ، مع ... الموسم ... صيفاً ، فهو بهذا النظر صالح لانشاء المصحات عليه .

[٧]

حرّة واقم(١)

هي الحرة الكائنة شرقيّ المدينة ، وتحد حرم المدينة شرقاً ، وحده الغربيّ : حرة الوبرة ، وهما اللابتان المقصودتان في الحديث النبوي ، وتنقسم حرة وقم باعتبار المنازل الواقعة فيها قديماً الى خمس مناطق متجاورة : منطقتان كانتا لليهود ، وثلاث كانت للأوس من الأنصار .. فبزهرة منازل بني النضير ، وبشمالها منازل بني قريظة

(١) الحرة او اللابة منطقة سوداء من الحجارة النخرة المحترقة او المؤلفة من السائل البركاني .

وبشمال هذه منازل بني ظفر من الانصار حيث مسجدهم المعروف بمسجد بني ظفر ، وبجانبهم شمالاً أيضاً منازل بني عبد الأشهل مع بني زعور بن جشم الانصاريين ·

وفي منازل بني عبد الأشهل كان حصنهم (واقم) الذي سميت به الحرة · وبشمالهم منازل بني حارثة الى نهاية الحرة شمالاً ·

ويرى المتجول في أنحاء هذه الحرة آثار دور وحصون ومصانع منتشرة في عرضها وطولها ، وقد وجدنا بها آثار مصنع قديم فيه أنواع القطع الفخارية المدهونة من كل لون ، وبجانب هذا المصنع العظيم المندثر ، صهريج ماء مطلي بالرصاص من الداخل وبشرقه غدير ، والمصنع المذكور واقع جنوب شرق بستان دَشم بمسافة ١٢ دقيقة تقريباً ·

وقد شاهدنا في هذه الحرة فوهة بركانية ذات شق مستطيل جداً من فوق دشم ، وعندما رأيناها لأول مرة ظننا أنها من آثار الانسان القديمة · ولكن تتبعي لشقها الملتوي أكد في نظري أنها من الآثار الطَّبِعِيَّة ·

وبقرب طريق العُريض من هذه الحرة ، تلول عظيمة من أطلال الآطام والدور التي كانت مشيدة بهذه الحرة ·

وبها كانت وقعة الحرة المشهورة ، وذلك في أيام يزيد بن معاوية عام ٦٣ ه ·

[٨]

حرة الوبره

هي بضاحية المدينة الغربية ، وهي أقرب اليها بالنسبة لحرة واقم ؛ وتمتاز عن هذه بكثرة المضبات والتلاع ، والمستنقعات والمنخفضات والمرتفعات ، وفيها قريباً من بئر عروة بطريق مكة ، بِرْكَةٌ كبيرة مجصصة قديمة ؛ وتروى عنها قصص خلابة ؛ مع أنها في رأيي لا تعدو أن تكون واحدة من هذه البرك التي كانت تبنى في طرائق الحجاج[1] .

وبهذه الحرة المدزج الذى يقال أنه ثنية الوداع أيضاً .

وبطرفها الشماليّ الشرقي : منازل بني سلمة ، ومن تحت طرفها الغربيّ قصر عروة وبئره ومزارعه ، وبعض قصور العقيق ، وبطرفها الشماليّ مسجد القبلتين . وهي إحدى اللابتين اللتين تحدان حرم المدينة كما سبق ذكره .



(١) في عمدة الاخبار في مدينة المختار للعباسي ان اسمها بركة « وبيك » .

قِسْمُ الأَوْدِيَةِ

أودية السيول

تمهيد :

تكتنف المدينة اودية سيول ستة : —

١ — وادي العقيق : (في ضاحيتها الغربية)
٢ — وادي رانوناء : (في ضاحيتها الجنوبية الغربية)
٣ — وادي بطحان : (في ضاحيتها الجنوبية)
٤ — وادي مذينب : (في ضاحيتها الجنوبية الشرقية)
٥ — وادي مهزور : (في ضاحيتها الشرقية)
٦ — وادي قنـاة : (في ضاحيتها الشمالية الشرقية)

ويسيل العقيق ووادي قناة في خارج المدينة ، والاربعة السيول الباقية : تجتمع في وادي بطحان من جنوبي المدينة وتسير ممتزجة حتى تدخل المدينة من الابواب الحديدية المعمولة لها قديماً تحت باب قباء بشرقيه ، وتشق الاودية الاربعة المدينة ممتزجـة ، وتسير الى الشمال في المسيل المعروف بابي جيدة حتى تخرج من باب البرابيخ وتفيض في صفاصف الى ان تبلغ سفح سلع ثم تفضي الى زغابة حيث تجتمع بسيلي العقيق ووادي قناة .

كان على وادي العقيق القصور الانيقة ، والحدائق الغناء ، وكان وادي رانوناء متنزهاً مقصوداً وعلى ضفتي بطحان بساتين ونخيل ، وبمذينيب كانت منازل بني النضير من اليهود ، وعلى مهزور منازل بني قريظة منهم . وكان بجانب وادي قناة الجنوبي منازل بني حارثة وبني عبد الاشهل وبني زعور الاوسيين .

اما اليوم فالعقيق مقفر من القصور ، قليل المتنزهات ، ورانونا ارض بلقع ، ولا تزال جنبتا بطحان حاليتين بالبساتين ، وفي عصر الرسالة طهر الله المدينة من القرظيين والنضيريين ، وتلك رسوم منازل بني حارثة وابناء عمهم ، وقد انقرض اهلوها فظلت مندثرة هامدة

هذا وصف اجمالي تاريخي اثري لهذه الاودية .. اما التفصيل فدونكه فيما يلي : —

[١]

وادي العقيق

لم سمي بهذا الاسم • هواؤه وتربته • جهته بالنسبة للمدينة وطريقه منها ومسافة بعده عنها • مصدره ومصبه • قصوره ودوره • بساتينه وآباره جماواته وآثاره • فضائله وعمرانه وخرابه •

هذا الموضوع شائق ، ولكنه مع ذلك شائك صعب المراس • ونحن سنبذل قصارى جهودنا في سبيل تذليل عقباته وجلاء صفحة سمائه • لنكشف اللثام عن تاريخ هذا الوادي الذهبي ، الذي كان في عصر من العصور مطمح انظار الخلفاء والاغنياء والشعراء بما حوى من قصور جميلة ومنتزهات لطيفة •

وادي العقيق •• لم سمي بهذا الاسم ؟

عُرِض هذا السؤال على سليمان السعدي المتضلع في فقه اللسان العربي ، فكان جوابه للسائل : « لأنه عق في الحرة » اي شق وقطع ، وهناك قول بان سبب هذه التسمية هو حمرة الوادي •

والتوجيه الذي ادلى به سليمان هو المقبول للنقط الآتية : —

١ — ذكر ياقوت ان اسم العقيق عمومي لكل مسيل ماء شقه السيل فأنهره ووسعه (معجم البلدان ج ٦ ص ١٩٨) •

٢ — ونص على أن يبلاد العرب أربعة اودية تسمى جميعاً بالعقيق ·

٣ — ان السمهودي حكى ان تبعاً لما مر بالعقيق قال : « هذا عقيق الأرض » وهذا بعد ان مر بالعرصة التي كانت تسمى بالسليل من العقيق نفسه ، فقال عنها : « هذه عرصة الأرض » · فكما ان معنى العرصة لغة : المكان المتسع الخالي ، ولذا اطلقها تبع على السليل ، فكذلك كان اطلاقه اسم العقيق على هذا الوادي نظراً لكونه شقاً في الارض أحدثه السيل الذي يجري فيه ·

هواؤه وتربته :— هواء هذا الوادي صاف منعش على الاطلاق · أما تربته فهي رملية تكتسي حمرة في الغالب · وأجمل بقاعه : الصغرى والكبرى ·

جهته بالنسبة للمدينة وطريقه ومسافة بعده عنها :— يقع وادي العقيق فى غربي المدينة ويشقه طريق مكة ؛ وأقرب الطرق من المدينة اليه :—

باب العنبرية — الطريق شمال قبة الخضر — المدرج — العقيق ·
ويبعد عن المدينة من هذا الطريق نحو ٣٠ دقيقة بالمشي المتوسط ·

مصدره ومصبه :— مصدره حضير : (مزارع بقرب النقيع الواقع بجنوب المدينة على مسيرة يوم ونصف منها) ، ويفضي الى بئر على العليا المعروفة بالخليقة ، ثم يمر بغربي جبل عير فذي الحليفة

ثم يسير مشرقاً الى أن يحاذي حرة الوبرة ، في قسمها الذي يطلع الى المدينة ، ثم يعرج الى الشمال ويتجاوز العرصتين ويفيض في زغابة (مر وصفها) .

قصوره ودوره — قال محمد بن عبد الله البكري قاضي المدينة وعمر بن عبد الله :—

اين أهل العقيق ؟ أين قريش ؟ أين عبد العزيز ؟ وابن بُكير ؟
ولو أن الزمان خلد حياً كان فيه يخلد ابن الزبير !

يشاهد الانسان بعد أن يتجاوز طرف حرة الوبرة ، مصعداً ذاهباً الى المحرم ، أو متوجهاً الى العرصتين بالشمال ، تلولاً متسلسلة على جانبي المسيل .. وتلك التلول هي آثار قصور العقيق ودوره القديمة ، وقد لا يسترعي الانظار مرأى هذه التلول لأول وهلة ، إذ يحسبها الناظر فيها بعض الكثبان الرملية المتكونة في أطراف الوادي تكوناً طبيعياً .. أما إذا دقق النظر فيها ، فانه يتحقق أنها آثار القصور العقيقية الفاخرة ، بدت اليوم في هذا الشكل المزري ، بحكم تقادم العهد ، وفعل المؤثرات الخارجية .

وإليك مواقع القصور والدور بالعقيق حسبما حققته بعد اجهاد القريحة :—

أ — القصور الواقعة بطرف حرة الوبرة الى بئر رومة :—

١ — قصر عروة بن الزبير ، بقرب بئره ·

٢ — قصر مراجل ·

٣ — قصر سكينة بنت حسين المسمى بالزينبي ·

٤ — قصور متتابعة لاسحق بن أيوب ·

٥ — قصور أخرى لبعض الأعيان ·

٦ — قصور ابنة المرازقي الزهرية ·

٧ — منازل جعفر بن ابراهيم الجعفري ·

ب — القصور التي في العرصة الكبرى الواقع فيها بئر رومة :—

١ — قصر عبدالله بن عامر ·

٢ — قصر مروان بن الحكم ·

ج — القصور التي بالعرصة الصغرى :—

١ — قصر سعيد بن العاص [هو الباقية آثاره دون سواه] ·

٢ — قصر عنبسة بن سعيد بن العاص ·

٣ — القرائن : (دور كانت لآل سعيد بن العاص بقرب قصره الأغاني ج ١ ص ٦)

د — القصور التي بسفح جماء أم عاقر (أو عاقل) :—

١ — قصور جعفر بن سليمان ·

هـ — القصور الكائنة بسفح جماء أم خالد :—

١ – قصر محمد بن عيسى الجعفري ·

٢ – قصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة ·

و – القصور الواقعة بسفح جماء تُضارُعَ :–

١ – قصر طاهر بن يحيى ·

٢ – منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ·

٣ – قصر عاصم بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان ·

٤ – قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ·

٥ – قصر عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان (وهو ابن بكير المذكور في البيتين السالفين) ·

ز – القصور الكائنة بسفح جبل عير :–

١ – قصر اسحق بن أيوب المخزومي ·

٢ – قصر لآل طلحة ·

٣ – قصر ابراهيم بن هشام ·

٤ – منازل لآل سفيان بن عاصم ·

* * *

هذا بيان اجمالي لمواضع قصور العقيق ·· أما تعيين موضع كل منها بالتحقيق فذلك عسير جداً ·· وناهيك بما تحملناه من البحث العلمي والتفكير حتى توصلنا الى ايضاح مواقعها بالصفة المشروحة أعلاه

بساتينه وآباره :— لا عجب أن يكون العقيق في سابق عهده مغموراً بالبساتين الجميلة التي تسقى من السيل اذا جرى ، ومن الآبار اذا توقف .. فوجود الرياض فيه من مستلزمات حياة النعيم التي كان يستظل باكنافها أهل المدينة ، في تلك الحقبة من الدهر .

وهذا بيان ما اطلعت عليه من ذلك :—

١ — مزارع ابي هريرة قبيل المحْرَم (الميقات)

٢ — مزارع عروة بن الزبير قريباً من بئره

٣ — بساتين ابن بُكَيْر بقرب قصره الذي بسفح جماء تُضَارُع

٤ — مزارع مروان بن الحكم بقرب قصره بالعرصة الكبرى

٥ — بستان سعيد بن العاص بقرب قصره بالعرصة الصغرى

٦ — مزارع الجرف التي منها الزين مزرعة النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابن زبالة .

٧ — مزارع ثنية الشريد (بعد ذي الحليفة) .

* * *

أما اليوم فتوجد بالعقيق مزارع وبساتين متفرقة ، لا تكاد تذكر بالنسبة لاتساع رقعته وصلاح تربته .. وأهمها ما يقع بقرب ذي الحليفة شمالاً وجنوباً ؛ وتعرف بمزارع الاحساء لقرب الماء من ظاهر الأرض في تلك البقاع ، ويجود (الشَّرْيُ)[1] في هذه المزارع .

(١) الشري في العرف هنا اسم جامع للبطيخ والحبحب والقثاء والخيار .

وبالعرصتين والجرف حدائق اطيبها ماءً (الرُّبخية) بالجرف ، وهواءً سلطانة ·

وكان بالعقيق عدد غير قليل من الآبار ، لا تزال آثار بعضها بادية ، ولكنها مطمورة · أما بئر رومة وبئر عروة ، فقد احتفظتا بحيانهما الى اليوم لمزاياهما الخاصة ، على أنهما قد انطمرتا في بعض الحقب الخالية ·

جماوانه والآثار بها :— هي ثلاث هضبات سود كبار ، قائمة بطرف العقيق ، على شفيره الغربيّ ، وسميت جماوات لانهـا دون الجبال ، تشبيهاً بالشاة الجماء التي لا قرن لها ·

وأقربها الى المدينة جماء تُضَارُعَ ، وهي التي يشاهدها الانسان عندما يهبط من المدرج الى بئر عروة ، وبحذائها غرباً بشمال : جماء أم خالد ، فجماء العاقر التي تصب على العرصة الصغرى ، وعلى راس جماء أم خالد كان عمر بن سليم الزرقيّ اكتشف هو وزميل له قبراً قديماً ووجدا عنده حجرين مكتوبين لا تقرأ كتابتهما ، فحملاهما ، فلما ثقل أحدهما عليهما ألقيا به في الجماء نفسها ؛ ولا ندري هو باق فيهـا أم نقل ؟ أم ماذا جرى له ؟ والبحث يظهر الحقيقة ·

فضائله وعمرانه وخرابه :— في صحيح البخاريّ أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتاني الليلة آت فقال : صل في هذا الوادي المبارك) .

وفي عرصته يقول : « نعم المنزل : العرصة لولا كثرة الهوام » .

أما تاريخ عمرانه فيبدأ من الوقت الذي أقطع فيه النبي كامل العقيق لبلال بن الحارث المزني وذلك بموجب حجة نبوية نصها :—

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملاً وكتب معاوية » اه .

فلما لم يعمل بلال هذا شيئاً في العقيق أبقى لديه عمر بن الخطاب في زمن خلافته — قسماً منه وانتزع منه الباقي ، وأقطعه للناس .

وكان مستند عمر رضي الله عنه في هذا الصنيع أمرين :—

الأول :— الشرط الوارد في كتاب الاقطاع النبوي ، إذ إن بلالاً لم يعمل شيئاً في العقيق ولذا أصبح غير مالك له .

الثاني :— احتياج الناس اليه لما كثر المسلمون في المدينة حيث إنها كانت العاصمة .

ومن ذلك الوقت أنشئت به البساتين الغناء ، والقصور الفيحاء تدريجياً ، فما كادت دولة بني أمية تستريح من القلاقل الداخلية حتى وجهت عنايتها الى عمرانه ، فأصبح جنة سندسية خضراء ، زهورها القصور ، ونوارها الدور ، وأكمامها القُطان والرُّواد . .

ثم ما كاد يبتدئ دور التوقف في هـذه الدولة حتى ابتدأ دور اضمحلال عمران العقيق وازدهاره ، فما هوت حتى ذوى ، ثم صار في خبر كان الى الآن ، ولا ندري هل نعود اليه نضارته ؟ ومتى ؟

إذاً فعمران العقيق الفعليّ مقرون بحادثة تصرف عمر فيه ، وأنها لمنقبة جليلة تضاف الى سجل مناقبه الضخم ، حيث برهنت على نظراته العلمية والدينية الثاقبة ، كما دلت على تفانيه في حب العمران وكراهة الخراب .

فلو فرضنا أنه لم ينتزعه من يد بلال ، وبقي في ورثته لكان من الجائز أن يظل قاحلاً ، وبذلك تخسر المدينة عمران ضاحية من أجمل ضواحيها ، وأقبلها للعمران .

[٢]

وادي انوناء

هضاب بهذا السد بالصلد كلها على كل واديها جنان من الارض
وان الغواني لا يزلن يردنه وكل فتى سمح سجيته غض

هذان البيتان عثرت عليهما منقورين — بخط قديم — في صخرة عظيمة جداً ، بقرب السدود التي بوادي رانوناء على يسار الذاهب اليها من قباء . . وقد وقفت مع بعض الاخوان امام تلك الصخرة تحت شعاع الشمس المحرق زهاء نصف ساعة ، نحاول قراءة هذا الخط العتيق . وبعد اللتيا والتي وُفِّقتُ الى قراءتهما بالصورة المرقومة اعلى . ولا ازال الاحظ تشويشاً لفظيا ومعنوياً في البيت الاول .

واسلوبهما الفخم ينم عن كونهما مما قيل في صدر الاسلام .

واننا لنشكر لهذا الشاعر ما قام به من تسجيل هذا الصك التاريخي الحافل بذكريات رائعة عن دور ناضر من ادوارهذا الوادي . . ضرب عنه المؤرخون صفحاً ، واعرضوا عنه اعراضاً كلياً . . .

وهكذا نرى بعض الشعراء في بعض الاحيان يقومون بدور المؤرخين . ولكن بمثل هذا الاسلوب الشعري الاجمالي الاخاذ .

يريد الشاعر أن يطلعنا — نحن الاجيال القادمة بالنسبة لزمنه — على ان هذا الوادي لم يكن كما نراه اليوم ، اجرد قاحلاً ، بل

لقد كان في عصره ، زاخراً بالرياض الفيحاء ، مرتعاً للظباء الاوانس ومسرحاً للفتيان الاجواد ، يقصده النوعان ، بكرةً وعشياً ، للتنزه في مروجه الخضراء ، والتمتع بجماله الجذاب .

ويُخَيَّلُ إلينا أن الشاعر لما ارتسم في ذهنه الصافي ، جمال منظر الوادي ومن فيه أبت قريحته الخصبة الا أن تجود بالبيتين المذكورين ، وأبى سمو مداركه إلا أن ينقشها بيده على هذه الصخرة الملساء ، وقلنا إنّ ناظمها هو راقمها ، استنتاجاً من وجود اسم تحتها ، ولرداءة خطها ، كخط أغلب الشعراء البارعين .

* * *

آثار الوادى : السد — الكتابات : —

قولنا السد بلفظ المفرد ، لا يخلو من مجاز ، والا فالحقيقة انها سدود ثلاثة محكمة البناء متقاربة ، واكبرها الجنوبي الذي يلي مصادر السيل ، ويليه في الضخامة الثاني فالثالث .

وحجارة بناء السدود الثلاثة متلاصقة بدون حشو بينها .

والحكمة في جعل السد الجنوبيّ اضخم : تقويته لتلقي تيار السيل الذي يصادمه ، فاذا امتلأت السدود يجري السيل في الصفاصف إلى ان ينزل الى العصبة . . وهناك مجراه ظاهر .

* * *

هـذا وقد عثرنا على كتابات شتى في صخور الهضبة التي تلي السد في غربيه واهم ما فيها كتابة هذا نصها : —

« جدد هذا السد بارادة الملك المظفر السلطان عبد العزيز خان سعادتلو شيخ الحرم خالد باشـا بنظارة الفاضل محمد صالح حمـاد سنة ١٢٨٩ هـ بالمدينة المنورة . . عمر ازميري غفر الله له آمين » اهـ

وهذه الكتابة تدل على أنه كان في موضع هذا السد ، سدٌ آخر ، لأن التجديد لا يكون الا للموجود ولعل السد المجدَّد بهذا هو سد عبد الله بن عمرو بن عثمان الذي جاء في وفاء الوفا أنه يصب فيه سيل رانوناء .

وتوجد كتابات كثيرة في صخور هذا الوادي ومصبه الى العصبة .

اما مصدر سيله فهو مقمة او مقمن (جبل جنوبيّ عير) ، ومن هذا الجبل يفيض على قرين صريحة ، فالسد الموصوف ، فالعرصة بعده ، فالصفاصف ، فالصخور ، فارض العصبة ، ثم يسير حتى يعترض طريق قباء الحديث حيث عمل له هناك مجرى فوقه جسر ، ثم يختلط بوادي بطحان ، ويدخلان المدينة معاً من تحت باب قباء في شرقيه .

ووادي رانوناء في الضاحية الجنوبية الغربيـة للمدينة . والسد الذي به يبعد عن المدينة نحو ساعتين . وطريقه منها : —

باب قباء — طريق قباء — انحراف الى الجنوب الغربيّ — الطريق غربي بستان العصبة — الحرة — الصخور — الصفاصف — العرصة — السدود .

[٣]

وادي بطحان

يطلق اسم بطحان اليوم على كل ما بغربي مسجد المصلى من المدينة الى الحرة الغربية ، وفي هذا الاطلاق شيء كبير من المجاز .. إذ إن حقيقة المسمى ببطحان لا يعدو هذا المسيل ابتداءً من قرب الماجشونية المعروفة اليوم بالمدشونية ، الى غربيّ مسجد الفتح .

فبطحان علم وضع لهذا المسيل في حدوده المذكورة فحسب ، ولا دخل لهذا الاسم فيما جاور المسيل من البقاع .

وربما يكون منشأ هذه التسمية ملاحظة ما في مسماها من البطحاء .

وقد نُزع اسم بطحان عن هذا المسيل في العرف الحاضر ، وخُلع عليه اسم « أبي جيدة » ولا نعرف ما هو أبو جيدة ؟ ولا المغزى منه ؟

ويتيامن سكان المدينة بقدوم سيل أبي جيدة ، ولعل السبب في ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » .

ويصدر بطحان من ذي حدر ، فجفاف ، وهي قرية قربان ، ثم يسيل في فضاء متسع ، ويستبطن بعده وادي بطحان ، ويذهب حتى غربيّ مسجد الفتح حيث منتهى وادي بطحان ، ثم يسير الى زغابة .

[٩]

وادي مذينيب

مصدره من حلائي صعب (جبلان كبيران بحذاء جبل الاغوات) على نحو سبعة أميال من المدينة ، ومصبه في زغابة . وقد تتبعنا مجراه فاذا هو آت من شرق حصن كعب بن الأشرف ، وبالقرب من الحصن يشكل نصف دائرة ، في وسطها الحصن ، ثم يفيض في مسيله شمال ام أربع فام عشر ، ولا يزال سائراً حتى يختلط بوادي بطحان في مبدئه .

وعلى هذا الوادي كانت منازل بني النضير ، وهم أول من احتفر به وبنى وغرس ، وقد نزل عليهم بعض قبائل العرب فشاركتهم في ذلك ، ومن هؤلاء الأشرف ، والد كعب صاحب الحصن المشهور باسمه .

وقد أجلى النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير هؤلاء بسبب غدرهم في غزوة الاحزاب ، وباخلائهم لهذه الجهة أصبحت من ممتلكات المهاجرين ، قسمها بينهم النبي خاصة دون سواهم اغناءً لهم وكان ذلك برضى من اخوانهم الانصار .

[٥]

وادي مهزور

مصدره من حرة واقم .. قال ابن شبة : إنه يأخذ من شرقي هذه الحرة ومن هكر : « موضع ماء على أربعين ميلاً من المدينة » ومن حرة صفة حتى يأتي أعلى حلاءة بني قريظة ، وهناك ينقسم الى شعبتين ، احداهما تختلط بوادي مذينيب ، والأخرى تذهب حتى تصل بمذينيب بفضاء بني خطمة ، ثم يجتمع مذينيب ومهزور ويدخلان فى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم الامشربة ام ابراهيم ؛ ويصرح السمهودي بان مهزوراً بعد أن يجتمع بمذينيب هناك يصبان فى بطحان .

* * *

وفي أصيل يوم ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ هـ عنيت باكتشاف حقيقة مجرى مهزور هذا الذى كثر اختلاف مؤرخي المدينة حوله ؛ فذهبت مشرقاً في الحرة رغبة في تبيُّن مجاريه العليا وبعد بحث عميق اهتديت الى مجراه العلويّ في الحرة .

ومما يجدر بالذكر أن الاسم الحقيقي لهذا الوادي تنوسيَ بين أهل هذه القرية ، فهم انما يعرفونه باسم « الغاوي » .

ومهزور ، أو الغاوي يتشعب في الحرة الى شُعب عدة ، لاتلبث

أن تجمع كلما اقتربت من أرض العوالي . وفي أوائل هـذه القرية وأواخر الحرة تتحد الشعبتان البارزتان من الوادي فتسيلان في تعاريج حتى تحاذي مسجد مشربة أم ابراهيم ، فتمر من جانبه الجنوبي غير داخلة في أرض المسجد لاعتلائها ، ثم نعود في الالتواآت ، ميممة شطر الشمال الغربي في مجار ضيقة جداً عانينا المشاق في تتبعها لكثرة التواآتها ولاحتفاف الصيران بها من كل ناحية حتى أنها لتكاد تختفي من أمامنا لولا شدة العناية والاستقصاء وهكذا حتى نصل الى صفصف بشمال الماجشونية « المدشونية » فيجتمع مهزور بمذينيب في هذا الفضاء ، ويذهبان في اتجاه شمالي حتى يصبا معاً في بطحان . ثم الى زغابة .

[٦]

وادي قناة

هذا الوادي يجيءُ من شرق المدينة وسمي بهذا الاسم لقول تبع فيه : « هذه قناة الأرض » والقناة لغة : الارض المحفورة لجرى الماء فيها .

وأعلى مصادره من وجّ بالطائف ، ويشق الحرة الشرقية ، في قسمها المحترق ، ويمضي هابطاً حتى يفضي الى حذاء أُحد من ناحيته الجنوبية ، ويستمر حتى يصب في زغابة .

ويطلق عليه هنا اسم «سيل سيدنا حمزة» وقد عملت له سدود متعددة شرقي ضريح سيد الشهداء ، وشكلها يدل على أنها من آثار بني عثمان .

ويحدثنا التاريخ بطغيان هذا السيل في أواخر القرن السابع عام ٦٩٠ هـ وأوائل الثامن : عام ٧٣٤ هـ : أربع مرات ، بصورة عظيمة هلع منها الناس وخافوا من فيضانه على المدينة واغراقها ؛ ولكن الله سلم .

ويبعد عن المدينة في أقرب جهاته نحو ٣٠ دقيقة بالمشي المتوسط . وهذه الجهة هي الواقعة بين المدينة وضريح عم الرسول وأسد الاسلام .



قِسْمُ الآبَارِ

الآبار

تمهيد :—

كان مدار شرب أهل المدينة في الجاهلية على الآبار ، وقـد قدم الرسول عليه الصلاة والسلام وحالة الشرب جارية على ما ذكرنا ، واستمر الحال على ذلك أيضاً في حياته .

وفي خلافة معاوية أجريت العين الزرقاء ، فتحول اليها الشرب ، ولكن كثيراً من الآبار العذبة احتفظت بمركزها اما لعذوبتها الزائدة ، أو لعلاقة دينية مع ذلك وفيما يلي وصف اكثر الآبار المشار اليها :—

[١]

بئر اريس

هذه البئر تقع غربيّ مسجد قباء بنحو ٢٨ متراً ، وعمقها ١٢ متراً ، وفي أسفلها فتحتان يجري منهما الماء الى قاع البئر ، وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء ·

وأريس اسم لصاحبها ·

وتاريخ حفرها مجهول لدينا وهي مطوية بالحجارة المنحوتة المطابقة وتعلوها قبة عالية ، مجصصة داخلاً وخارجاً ، وهذه الهيئة تشهد بانها عمارة عثمانية ، وبجوارها الى الجنوب قبة أخرى ذات محراب فيه فوقه كتابة باللسان التركي · ولهذه القبة فتحة تطل على البئر ، ويستقى منها أيضاً · وبجانب البئر حمام وبشرقه بركة كبيرة ·

ويستخرج الماء من البئر بواسطة السانية · وقد جدد السلاميّ درجاً لهذه البئر يهبط منه الى قاعها سنة ٧١٤ هـ ، وكأنها بقيت على ذلك حتى جُدّد طيها في عهد الدولة العثمانية ، فطمت الدرج لتقادمه وتداعيه ، وشيدت على البئر هذه القبة وبنيت بجانبها القبة التي تليها ·

وماء البئر غزير ؛ وسواء صح ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها أم لم يصح ، فان ماءها عذب شهي . ولا بدع فانه آت من الصخور .

وبئر أريس مأثورة فقد جلس الرسول على قفها ومعه أبو بكر وعمر وعثمان . وتسمى بئر الخاتم ، لسقوط خاتم النبي من يد عثمان بن عفان فيها . وذلك بعد ست سنوات من خلافته .

[٣]

بئر رومة

هذه البئر في عرصة العقيق الكبرى ، بقرب مجتمع الاسيال ، شمال غرب المدينة ، وتبعد عنها نحو ساعة ونصف ، وقطرها ٤ امتار وعمقها ١٢ متراً .. وبجوارها ابنية مستحدثة وايوان او مسجد ، لا ادري ! به محراب ، لعل بانيه بنو عثمان ، نظراً لهيئته ، وامام هذا الايوان او هذا المسجد بركة مربعة واسعة جميلة :—

تنصب فيها وفود الماء جاريته كالخيل مفلتة من حبل مجريها

والبئر غزيرة الماء . وماؤها عذب صناف للغاية . وهي مطوية بالحجارة المطابقة المنحوتة طياً محكماً ، وتسقى مزرعتها بالسانية .

وتوجد بناحيتها الجنوبية بمسافة نحو ٤٠ متراً ، آثار بناية ضخمة علتها الرمال ، وقد كشف عنها اخيراً مستاجر المزرعة ليعمر من حجارتها مكاناً بجذاء البئر ، فظهرت أُسس هذه البناية الهائلة ، وبدت تربيعات غرفها العظيمة ، وقد عثر على قبرين فيها .. وفيهما هياكل بشرية . وقد رأيتُ احدهما فاذا شكله يدل على انه قديم ان لم يكن جاهلياً .. وهذا البناء هو الذي قال عنه السمهودي : —

« وعندها (اي بئر رومة) بناء عال بالحجارة والجص وقد تهدم » . اهـ .

وقال عنه المطري : « انه كان ديراً لليهود » .

وقد اعتور البئر خراب بعد خراب ، كما عُمرتْ مراراً . روي المطري انها كانت خربة في زمنه (القرن الثامن) وفي هذا القرن نفسه جددت ثم خربت ، فاحياها القاضي شهاب الدين الطبري ، ولا نعلم هل عمارتها الحالية هي عمارة هذا القاضى ام كانت بعده ؟

ولعذوبة ماء بئر رومة رَغب النبيّ صلى الله عليه وسلم اصحابه في شرائها وجعلها وقفاً على المسلمين .. فاجاب هذه الرغبة العالية صهره عثمان بن عفان ، واشتراها - بعد اللتيا والتي من صاحبها اليهوديّ الحريص بمبلغ (٢٠٠٠٠) درهم ، ونفذ فيها رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهي مع مزرعتها اليوم من جملة اوقاف المسجد النبويّ . ومن ادارة الاوقاف تستأجر .

[٣]

بئر غرس

كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يشرب من هذه البئر ، ويستقى له منها ، وبمائها اوصي بغسله بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، على قول بعض الرواة ·

وكانت في حياته لسعد بن خيثمة ، ولعله الانصاري الذي اتخذ الرسول داره بقرب مسجد قباء ، موضع حديثه مع الناس ·

وبئر غرس معروفة اليوم · وقد شاهدناها مراراً في اثناء 'نزَ هنا بقربة قربان ، في حديقة الغرس ، وهي واقعة في شمال غرب هذه الحديقة ، ولها درج كان ينزل به اليها · ومع انها مأثورة ، ومع غزارة مائها وقربه من سطح الارض ، فانها اليوم معطلة ·

وقطرها ٤ امتار وعمقها ٤ امتار · وهي مطوية بالحجارة المطابقة طياً محكماً ، وعليها بناية سانية مهجورة ·

قال المطري انها خربت في زمنه (القرن الثامن) ثم جددت بعد ذلك وقال السمهودي : — « انها خربت بعد ذلك فابتاعها خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكي شهاب الدين احمد القاواني وحوط عليها حديقة وجعل لها درجة ينزل اليها منها ، من داخل الحديقة وخارجها ، وانشأ بجانبها مسجداً لطيفاً ووقفها عام ٨٨٢ هـ » ١٠ هـ

والحديقه المشار اليها موجودة الى اليوم · واسمها الغرس · ولا تزال وقفاً · والمسجد المذكور لا تزال اطلاله واقفة ، وهو متصل بالبئر بشمالها الشرقي ، وبناؤه بالحجارة والطين وهو مكشوف ، ولا نعلم هل كان كذلك في ايام حداثة بنائه ! ام حدث له بعد ذلك · وهو مربع طوله ٣ امتار في عرض مثلها ، وارتفاع الباقي من جدره متران وله بابان شرقي وشمالي ·

وطريق بئر غرس من المدينة هكذا :-

باب العوالي — طريق قربان — ميل الى الشرق في زقاق ضيق — البئر ·

[٩]

بير حاء

هذه البئر خارج سور المدينة ، قريبة منه ، في ناحية المدينة الشمالية الشرقية وتبعد عن اقرب نقطة اليها من السور نحو ١٣ متراً ، وهي في طرف زقاق منحدر ، وفيه فتحتها ، وهي مطوية بالحجارة من اسفل الى قرب الفتحة · ويخالف شكلها شكل الآبار بالمدينة اذ هي (بير حاء) مربعة الطي ، والآبار غيرها مستديرنه · وعلى بير حاء عقد صغير من الطوب الاحمر ·

نقل السمهودي عن ابن النجار انها كانت في عهده وسط حديقة صغيرة جداً فيها نخلات ، وعندها بيت مبني على علو من الأرض ، وهي قريبة من سور المدينة ، ولبعض اهلها ! وماؤها عذب . وقال السمهودي : « وهي اليوم على هذا النعت » .

ونحن نقول : « وهي اليوم على اغلب هذا الوصف » — لانها ليست في وسط حديقة بل في ركن المنزل التابع لها او التابعة له ، وبشرقها قطعة صغيرة من الأرض جرداء بها نخلتان هرمتان ظامئتان ، ولعلها من بقايا حديقتها المذكورة .

وينزح الماء من البئر بالدلاء . وكانت لابي طلحة الخزرجي المثري الشهير وكان قد عزم على جعلها وقفاً طبق استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لما سمع قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا ما تحبون » .. لانها كانت احب امواله اليه .. فقبل الرسول منه اصل رغبته . وهو ايقافها وأشار بان يجعلها في الاقارب .. وقد آل قسم منها لحسان بن ثابت ، واشتراها جميعاً معاوية ابن ابي سفيان ، وبنى بها قصر بني جديلة (لوقوعه في منازلهم) ليأوي بني أمية اذا حدثت بهم النوائب كما كان مترقبا اذ ذاك .

[٥]

بئر بضاعة

دخلت حديقة بئر بضاعة فاذا هي فينانة خضراء ، ودخلت الحظيرة التي فيها البئر فاذا البئر غزيرة الماء عميقة قديمة الطي واسعة . ويمتاز ماؤها بالحلاوة بالرغم من كون ما يجاورها من الآبار ملحاً .

وتبعد بئر بضاعة عن سقيفة بني ساعدة ، بالسحيمي ، بمسافة نحو ٤ دقائق .

والبئر والسقيفة كانتا لبني ساعدة ، والطريق من السقيفة الى البئر زقاق ضيق يشاهده الانسان على يساره اذا كان آتياً من السقيفة ، من جهة الباب الشامي . وبين رأس الزقاق والسقيفة نحو ٢٠ متراً .

[٦]

بئر السقيا

موقع هذه البئر جنوبيّ بناية محطة السكة الحديدية ، يفصل بينهما طريق مكة . وتسمى البقعة التي فيها البئر بالفُلْجان ، وكانت منازل الحجاج الزائرين عند هذه البئر ، ولتجديدها من قبل بعض العجم عام ٧٧٨ هـ عُرِّفت في بعض تواريخ المدينة ببئر الاعجام .

وهي عميقة ، محفورة في الصخر . قطرها ٦ أمتار وعمقها ١٤ متراً ، وبجنوبها مزرعتها .

وبئر السقيا مأثورة شرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، من مائها وتوضأ ، وعلى أرضها الفلجان ، عَرَض الجيش الذاهب الى بدر ، وكانت ملكاً لذكوان الزرقي ، واشتراها منه سعد بن أبي وقاص .

[٧]

بئر ابي ايوب

الظاهر أن أبا أيوب الذي تنسب اليه بئران أو ثلاثة بالمدينة، هو أبو أيوب الانصاري الذي كان النبي نزيله حين قدم الى باطن المدينة .. والا فمن هو أبو أيوب هذا الذي يعتني المؤرخون بوصف آباره ؟

والبئر الذي نسبتها لأبي أيوب الانصاري صحيحة، هي البئر التي بشرق الرومية شمال البقيع، ولا تزال نعرف ببئر أبي أيوب وهي مطوية بالحجارة طياً ظاهر القِدم، ولها درج ينزل منه اليها وقد طمّ أعلاه .. وهذا الدرج قد نوه عنه السمهودى .. اذاً فهذا الطيُ هو القديم الذى كان على عهده (القرن التاسع)

وماء بئر أبي أيوب، ليس بالملح الاجاج، ولا بالحلو العذب، طعمه بين ذلك برغم وقوعها في أرض مَسبخة .

وهي واقعة في حديقة صغيرة من أوقاف الاشراف العلويين من المغاربة، وكانت نعرف باولاد الصفى في القرن التاسع

والطريق من المدينة الى بئر أبي ايوب : — الباب المجيدي —

الرومية — حذاء باب الشكنة المستحدثة ، باواخر الرومية — عطفة صغيرة بعد هذه الشكنة - ممر ضيق مرتفع مشرق — فاذا سار المار بهذا الزقاق نحو دقيقتين يشاهد باب بستان منحدرٍ ، قبالته ٠٠ فهذا البستان المنحدر هو حديقة بئر أبي أيوب ٠٠ والبئر في غربها من الداخل ٠

[٨]

بئر ذروان

يطالبنا العلم والتاريخ بوصف هذه البئر التي وقعت فيها حادثة السحر المعلومة فما الذنب للبئر ، وانما هو على لبيد بن الاعصم الذي سولت له نفسه الخبيثة اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حماه الله منه ٠

فهو ان اساء الى النبيّ من جهة ، فقد آذى بني زريق الأنصاريين اهل هذه البئر التي كانت عذبة حيث حال بينهم وبين الاستقاء منها بفعلته الشنعاء ، فاضطروا لتهويرها ٠

والشائع بين الناس انها البئر المطمومة الكائنة امام محلة النخاولة ، تحت احد ابراج سور المدينة الجنوبيّ ، وتلقى فيها وحواليها القمائم والاقذار ٠٠٠

وذروان اسم قديم لهذه المحلة ، ولا تزال تحمله ، وهي من جملة منازل بني زريق اصحاب البئر · وسور المدينة الداخلي اليوم ، يفصل بين المحلة والبئر ، ويقول المطري انها بداخل السور ، و كأنه يعني السور الخارجيّ الذي يطيف بمحلة النخاولة المتصل بباب العوالى ·

[٩]

بئر عروة بن الزبير

بئرُ عروة بطرف حرة الوبرة الغربىّ بالنسبة للمدينة ، عن يمين الطريق لمن يسافر الى مكة ،

وتبعد عن المدينة نحو ٣٥ دقيقة من باب العنبرية بالسير المتوسط ، وقطرها وعمقها كبئر رومة تقريباً · وبجوارها قهوة مستحدثة ، وابنية مهدمة ، وهي مطوية بالحجارة المنحوتة المطابقة طيا محكماً جداً · ولا نعلم من طواها بهذا الشكل ·· فقد كانت مطمومة في القرن التاسع الهجريّ · وبجنوبها عن يمين الطريق مسجد بناه السيد عبد المحسن اسعد ·

ويستخرج الماء من البئر بالدلاء تارة ، وبالسانية اخرى · وهي

غزيرة ، وماؤها اصفى مياه المدينة واشهاها ، وله لذة خاصة ..
ويقول ابن خلكان : ليس بالمدينة بئر اعذب منها .. وفي وصفها
يقول السريّ بن عبد الرحمن الانصاريّ :—

سخنة في الشتاء باردة صيفاً سراج في الليلة الظلماء

وكان بكار يقدم ماءها ، هدية ، في قوارير لامير المؤمنين
هارون الرشيد وهو في الرقة .

وقد احضرت في اواسط القرن الاول الهجريّ .

هذا ومن المستملح ان نختتم هذا الفصل بنادرة انفقت لي مع
صاحب القهوة المشار اليها آنفاً ، فقد سألته مباسطاً :—

من هو عروة الذي تنسب اليه هذه البئر !

فاجابني في شيءٍ من الزهو والاعجاب :—

عروة التي تنسب اليها هذه البئر هي امرأة قديمة من اليهود
حفرت هذه البئر قبل الاسلام فنسبت اليها ...

وعبثاً حاولت اقناعه بان عروة هو ابن الزبير بن العوام ؛ فان
الرجل قد تملكت جوانب دماغه فكرة انتساب البئر وحفرها لامرأة
يهودية اسمها عروة ... ولرسوخ هذه الفكرة في ذهنه انسد عنه
كل باب للاقتناع بما عداها ... ولاغرو فانه أميٌّ جاهل ، وكم
للأمية من آفات ، وكم للجهل من افتئات ؟!!

قِسْمُ ٱلْأُصُولِ

العيون

تمهيد : —

في المدينة اليوم اربع وعشرون عيناً جارية ، منهـا العين الزرقاء . وهي اعمها واهمها . والباقي منهـا يسقي البساتين . ومصدر كل هذه العيون عالية المدينة .

وقد كانت عين الشهداء التي احتفرها معاوية جارية الى ما قبل ١٥ عاماً ثم توقفت .

ولانها هي والعين الزرقاء هما العينان الاثريتان فقد وصفناهما فيما يلي : —

[١]

الكظامة او عين الشهداء

أجرى هذه العينَ ، معاويةُ في خلافته . وتسمى عين الشهداء لمرورها على قبورهم ساعة اجرائها قال السمهودي انها تأتي من العالية .. وهي العالية الشرقية .. وترى فتحاتها مسامتة لسفح أُحد الجنوبيّ وهي اقرب العيون اليه . فاذا وصلت الى جنوب القبة المعروفة بقبة الثنايا كان لها منهل هناك ، ويبعد عن القبة المذكورة نحو ٣٨ متراً ، ونسير العين مغربة مارة على قبور الشهداء - شهداء احد - التي هي الرضم الواقعة بغربيّ ضريح حمزة رضي الله عنه بنحو ٥٠٠ ذراع حتى تبلغ الى البساتين المعروفة بخيف الثنايا ، وخيف معاوية ، وهناك مغيضها . وهذا الخيف اقرب الخيوف الى الضريح المذكور ، وكانت عين الشهداء جارية ، ومنذ ١٥ عاماً توقفت .

ويدل فحوى حديث جابر بن عبد الله الصحابي على ان تاريخ احتفارها كان عام ٤٣ هـ .. فهي اذاً أقدم من العين الزرقاء ببضعة عشر عاماً ، او ما دون ذلك .

[٢]

العين الزرقاء ، او عين الازرق

في رأيي ان هذه العين تعد فاتحة عصر جديد في حياة سكان المدينة .. فقد نقلتهم من طور الاستقاء من الآبار ، وما يلزم لهذا الطور من دلاء وبكرات ورفع وخفض — الى طور الاستقاء من مناهلها الفياضة مباشرة ، بدون نزح ولا كلفة .

. . .

لم تزل الآبار عمدة شرب اهل المدينة حتى جاءت خلافة معاوية .. وكانت المدينة قد زخرت بالسكان .

وكأنى بهذا الخليفة الذي حنكته التجارب قد لاحظ ذلك ، ففكر في القيام بمشروع يبقى له احسن احدوثة واطيب ذكرى ، الا وهو ارواء هذا البلد من ماء معين دائم الانسكاب

فكر في ذلك حينما شاهد انهار الشام تروي اهلها بهذه الصفة .. ومن احق بهذه الرفاهية من سكان مهد الاسلام ؟ خصوصاً مع ملاحظة حالتهم السياسية في ذلك العهد مع لدولة القائمة ، وما ينبغي لهم من لاستمالة الى كفتها لتكون الراجحة دينياً وسياسياً على غيرها من الدعاة الدهاة ..

كأني بهذا كله ، وقد جال في خاطر معاوية رضي الله

عنه لحانت منه التفاتة الى خزائنه المالية ، فرآها على مايسر ، تفيض بالأبيض والأصفر .. فكتب في الحال بانفاذ المشروع الى عامله على المدينة ، ابن عمه مروان بن الحكم . فصدع هذا بالامر ، واختار من فطنته أو خبرة من استحضره من المهندسين ، أن يكون منبع العين المزمع احتفارها من بئر الأزرق بقباء ، لحفرها من هناك ، وأجراها في هذا النفق الارضي (الدبل) فسالت فيه متطلبة المنحدرات ، ولما وصلت الى المدينة بنى لها المناهل ففاضت منها ، وجاء أهل المدينة يستقون ويشكرون .

لم يذكر مؤرخو المدينة الذين بين أيدينا تواريخهم ، تاريخ احتفار العين الزرقاء ، ولا كيفية وضع تصميمها .. اكتفوا عن بيان هاتين النقطتين الهامتين بقولهم مثلاً : «وسميت العين الزرقاء نسبة الى مروان بن الحكم الذي أجراها بأمر معاوية . لان مروان كان أزرق العينين » .

وبناء على مالدينا من المعلومات التاريخية نقول : إن تاريخ احتفارها كان في مبادئ النصف الثاني من القرن الاول الهجري ، حيث إن أمارة مروان على المدينة كانت في أوائل النصف المذكور . وأما التصميم فلا نعلم عنه شيئاً ما .

وأصل العين من بئر الأزرق في بستان الجعفرية ، غربيّ مسجد قباء ، وقد أضيفت اليها آبار في أوقات متفاوتة كبئر أريس وبئر الرباط وبئر بويرة ، كما أنها مدت بينابيع حُفرت في جنوبيّ بئر الازرق أيضاً ، وتسير من مصادرها المذكورة الى بئر الشلالين ، فتفيض فيه ثم الى بئر الغربال ، فبئر جديلة ، وهنا تمدهـا بئر السرارة ، وبئر القلعجية ، وبئر السيد عبد الرحيم السقاف ، ومن هناك تأتي الى المدينة ، ولها بها عدة مناهل ، وتخرج من المدينة الى الشمال . وحذاء بستان داود باشا تنقطع ، ويسير فائضها مع الماء الملح الآتي معها من بئر جديلة الى البركة شمـال الجرف ، وهناك مغيضها .

وقد اهتم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأمر هذه العين كاهتمامه بالمياه والعيون في جدة ومكة ، فجعل للعين الزرقاء هيئة رسمية تسمى « لجنة العين الزرقاء »(١) كالسابق ، وبنى لها بناية شامخة مشاهدة في باب السلام ، وذلك عام ١٣٤٩ هـ ، وهي بجـانب منهل من مناهل العين .

. . .

اصلاحاتها : لا نعلم شيئاً عنها قبل الدولة العثمانية . وفي أوائل

(١) يرأس هذه الهيئة الآن السيد زين العابدين مدني .

حكم هذه الدولة توقفت فضاق أهل المدينة ذرعاً بذلك فعمرها السلطان سليمان سنة ٩٣٢ هـ ثم عمرها مراد سنة ٩٩٩ هـ . وفي سنة ١١١١ هـ أضاف اليها السلطان مصطفى بئر عذق . وفي عام ١٢١٢ هـ بنى مجراها السلطان سليم . وفي القرن المذكور أصلحها محمد علي باشا . وفي القرن الرابع عشر جددها السلطان عبد الحميد الثاني وهو الذي أضاف اليها بئر بويرة . وفي عام ١٣٤٩ هـ عمرت الحكومة العربية السعودية مجاريها .

وهذا عدا الاصلاحات المستمرة التي كانت تجري فيها في عهد الحكومات المتوالية .

وفي عام ١٣٤٩ هـ اقترحت مديرية الصحة العامة بمكة المكرمة، مدّ أنابيب حديدية في طول مجاري العين ، وقاية لها من التلوث . . ولما يلزم لهذا المشروع من نفقات باهظة ثم لما فيه من صدّ الامدادات المائية التي تتسرب الى العين من ينابيعها المعروفة بالمراوي — لذلك كله طُوِي المشروع ولم يُرَ انفاذه .

* * *

مناهلها :— هذه المناهل مبنية وذات قباب ، ولها درج ينزل منه اليها . وهذا بيانها :—

١ — المنهل الواقع بشمال مسجد المصلى : (ذو شعبتين : الشرقية للرجال ، والغربية للنساء) .

٢ – منهل باب السلام (ذو شعبة واحدة) .

٣ – المنهل بوادى بطحان ، بين باب قباء والجسر الممدود عليه الشارع (هو عبارة عن ست آبار مرتفعة عن مجرى السيل يستخرج منها الماء بالدلاء والبكرات)

٤ – منهل الساحة قرب بستان السلطانية : (ذو شعبة واحدة)

٥ – منهل حارة الأغوات : (ذو شعبة واحدة)

٦ – منهل الزكي : قرب مشهد النفس الزكية : (ذو شعبتين)

٧ - منهل باب بصرى : (آبار يستقى منها بالدلاء والبكرات)

٨ – منهل الباب المصرى : (من داخل الباب ، وهو بئر صغيرة الفتحة ينزح منها الماء بالدلو)

٩ منهل بداخل قلعة الباب الشامي : (عليه ماكنة رافعة للمياه توصلها الى الكباسات في أنابيب حديدية)

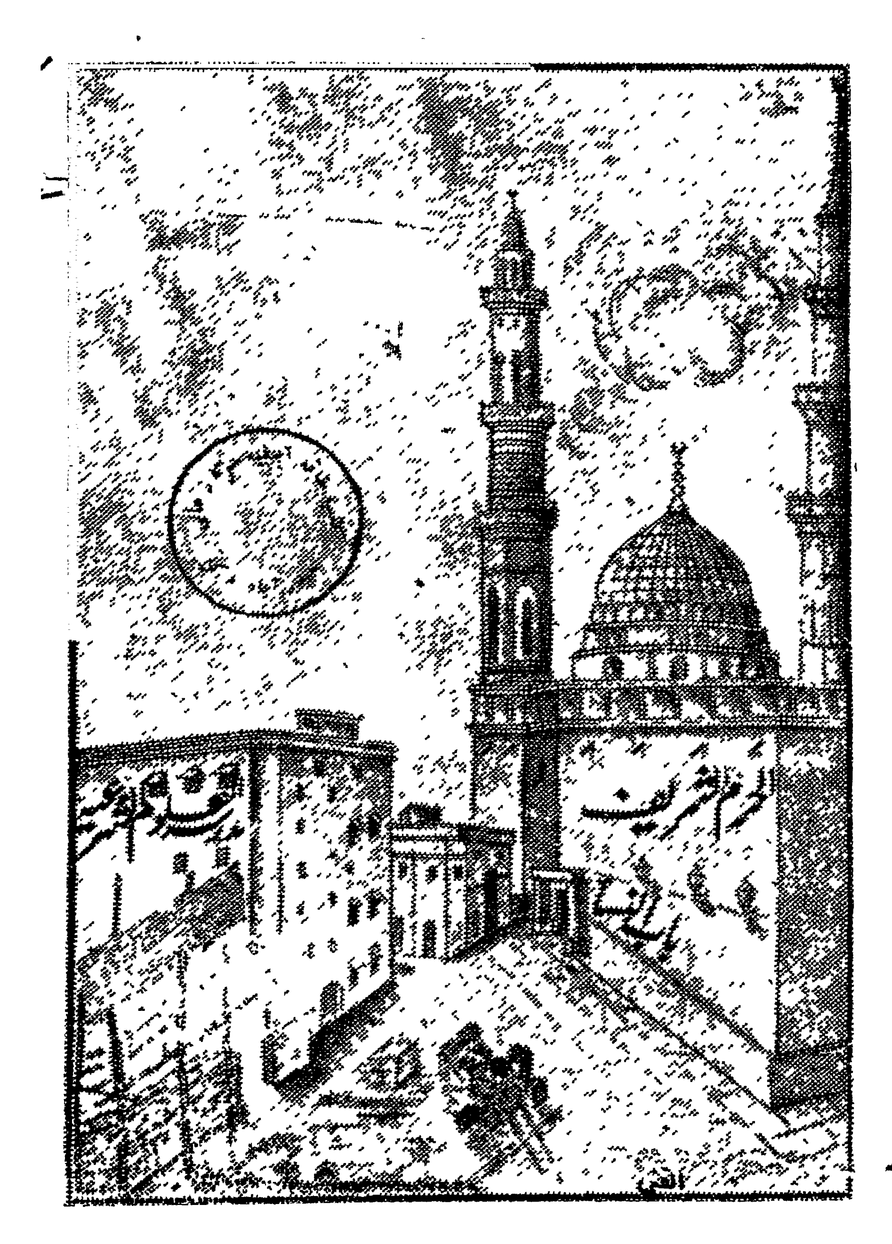
١٠– منهل العطن : (لا يستعمل للشرب بل للغسل لأنه من فائض العين)

ونحن نكتب هذه السطور والعمل جارٍ في فتح منهل جديد خارج باب الحمام ، فاذا تم فتحه ، فتكون عدة مناهل العين الزرقاء اليوم ١١ منهلاً .. [٧] منها منخفضة يهبط اليها من سلالم حجرية . و [٣] مرتفعة يؤخذ منها الماء بالدلاء . و [١] عليه ماكنة الكباسات .

الكباسات :- لكون هذه الكباسات ، على ظاهر الأرض ،
لأنها عبارة عن صنابير (حنفيات) بمجرد فتحها تفيض منها
المياه ، لذلك ، ولهذا ، تعدبحق فتحاً جديداً في كيفية الاستقاء بالمدينة
في هذا العصر ، كما كانت العين الزرقاء في القرن الاول الهجري
منذ أواخر الحكومة العثمانية بوشر بانشاء الكباسات بالمدينة ،
ولا تزال عملية انشائها مستمرة . وهذا بيانها الآن :—

الكباس	موقعه
أمام حوش سنان	محلة العنبرية
〃 التكية المصرية	〃 〃
〃 مسجد بهرام آغا	〃 〃
داخل حوش الجوهري	〃 〃
بالمستشفى المعروف بالخاسكية	〃 〃
بدار الأمارة	〃 〃
بداخل الشكنة العسكرية	〃 〃
حوش خير الله	محلة زقاق الطيار
أمام زقاق الطيار	محلة المناخة
حوش خميس	〃 〃
في رأس زقاق جعفر	〃 〃

الكباس	موقعه
بدائرة الشرطة	محلة المناخة
بمركز الهجانة	« «
بداخل السجن	« «
في دائرة الطحن والكهرباء	« «
في داخل القلعة للبستان	« «
أمام دار أبناء علي حسين	محلة المحمودية
امام الحجارية	محلة الجديده
امام باب القاسمية	درب الجنائز
امام باب الحمام	« «
« باب العوالي	« «
داخل دار السيد زين مدني	محلة ذروان
أمام دار الأركوبي	« «
أمام بيت أبي عشرين	« «
أمام بناية كهرباء الحرم النبوي	دار الضيافة
بداخل بناية « « «	« «
بجنب دار السيد محمود أحمد	محلة الساحة
أمام حوش فواز	« «
أمام حوش بابين	« «



مدرسة العلوم الشرعية

بقرب باب النساء بالمدينة المنورة تأسست سنة ١٣٤١ هـ

رجاء

وقعت بعض أغلاط مطبعية فعلى القارئ الكريم تصحيحها

صحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	١٤	الظوائف	الطوائف
٤٢	٥	اذ	اذا
٦٤	١١	ألابيات	الأبيات
٦٥	٥	المقضورة	المقصورة
٨٢	٧	٣و٧٠	٧٠و٣
٨٣	١٦	دقيق	دقيقة
٨٤	١٣	بقايته	بنايته
٨٦	٥	فيها	فبها
٩١	٤	جنوية	جنوبية
١٠٣	٨	صداها	صدها
١٢٧	٩	يبعصها	ببعضها
١٢٧	١١	طبيعة	طبعية
١١٧	١٥	اخصر	اخضر
١٠٠	٢	انوناء	رانوناء
١٦٢	١٤	جا، يته	جارية
١٦٦	١٠	الشهبر	الشهير

تابع الخطأ والصواب

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٧	٩	البئز	البئر
١٦٩	٧	الذي	التي
١٧٢	٥	ما٠ها	ماءها
١٧٦	١٤	لدولة	الدولة
[illegible]	١٥	لاستمالة	الاستمالة
[illegible]	١٤	المعلوات	المعلومات
[illegible]	١٤	الثاريخية	التاريخية
١٧٧	١٥	الثـ ني	الثاني
١٧٩	١١	وقـ ية	وقاية
١٨٠	١٤	فـ ئض	فائض